الفاضلية
للتأليف والتحقيق والنشر

أبو طالب عليه السلام

في السيرة النبوية لابن هشام

قراءة تحليلية موجزة

عماد الكاظمي

١٤٤٤هـ - ٢٠٢٣م

أبو طالب عليه السلام في سيرة ابن هشام

-قراءة تحليلية موجزة-

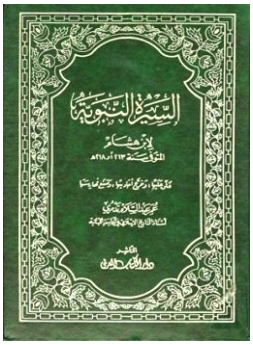

عماد الكاظمي

الكتاب: أبو طالب عليه السلام في السيرة النبوية لابن هشام ت٢١٣هـ.

المؤلف: الشيخ عماد الكاظمي.

الطبعة: الثانية.

الناشر: الكاظمية للتأليف والتحقيق والنشر.

المطبعة: دار الرافد – قم.

السنة: ١٤٤٤هـ ٢٠٢٣م.

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق ببغداد (١٤٤٨) لسنة ٢٠٢٢م

الإهداء:

-إلى كافلِ النبيِّ اليتيمِ صغيرًا . . وآويهِ كبيرًا . . وناصرهِ رسولاً ونبيًّا كثيرًا . .

-إلى المجاهدِ الأعظمِ في الدفاعِ عن الشريعةِ الإسلاميةِ المقدسةِ . .

-إلى أولِ المحامينَ عن العقيدةِ الإسلاميةِ، والمضحّينَ عنها . .

-إلى المدافعِ عن النبيِّ بروحهِ وقلبهِ . . ولسانهِ ويدهِ . .

-إلى مَنْ قالَ فيهِ رسولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: مَا نَالَتْ مِنِّيْ قُرَيْشٌ شَيْئًا أَكْرَهُهُ حَتَّى مَاتَ أَبُوْ طَالِبٍ.

إلى (شيخ البطحاء أبي طالب عليه السلام)

كرامَةً لمواقفهِ الخالدة . . وردًّا على ذوي العقائدِ الفاسدة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة على النبي المصطفى الأمين، وآله الأئمة الهداة المعصومين ..

إنَّ دراسة التاريخ الإسلامي دراسة تحليلية تعد من الدراسات المهمة التي يجب على الباحثين نهجها في بحوثهم، وخصوصًا التاريخ الذي له علاقة بعقيدة معينة؛ لأنَّ أي مرحلة من مراحله تمثل صورة ومنهجًا يعكس تعاليم الشريعة الإسلامية المقدسة، وما مرت به ٱبتداءً وتكاملًا، وإنَّ مرحلة الكتابة عن بداية البعثة النبوية هي من المراحل المهمة التي يحتاجها الباحثون في قراءة السيرة النبوية، والتي في الواقع تحتاج إلى قراءة تأملية، وتمحيص للنصوص، وتحليلها على وفق العقيدة؛ لعلاقة ذلك بالمشرِّع وتعاليم الشريعة المقدسة[1].

وإنَّ ما يتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فإننا نرى هناك ٱضطراب في بعض المواقف التي رافقت سيرته الشريفة، وسبب ذلك الأهواء والاعتقادات التي ترافق كُتَّاب السيرة، أو الرواة لها الناقلون للوقائع التي كانوا شهودًا عليها، وهذا يتطلب من الباحث أنْ يكون له موقف واضح صريح تجاه أي حادثة، من خلال دراسة حيثيات الحادثة من جميع جوانبها، وجمع القرائن الأخرى التي

(١) عند مراجعة كتاب السيرة النبوية لابن هشام ٱطلعت على نصوص متعددة تبيِّن مواقف تختلف مع عقيدتنا بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد نشرت بعض ذلك في كتابنا (قراءة في السيرة النبوية بين التاريخ والعقيدة -نصوص مختارة-) حاولت فيه معالجة بعض هذه النصوص على وفق العقيدة وبيان مدى ملاءمتها ومخالفتها.

لها علاقة بذلك، فضلًا عن الرجوع إلى علوم أخرى تنفع هذه الدراسة مثل علم الحديث والرجال؛ لعلاقتهما بذلك، وعرض مجريات الحادثة ونتائجها على أصول العقيدة الثابتة.

إنَّ هذه الصفحات المتواضعة تسلط الضوء على مرحلة مهمة من مراحل السيرة النبوية، لها علاقة بشخصية مهمة وعظيمة من شخصيات التاريخ الإسلامي، بل تاريخ السيرة الشخصية لحياة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، إنه أبو طالب عليه السلام عم النبي الذي بذل جهدًا كبيرًا جدًّا في الحفاظ عليه منذ أنْ كان صغيرًا، ومساندته ونصرته عند إعلان نبوته، ونشر دعوته، والدفاع عنها قولًا وعملًا حتى وفاته التي فُجِع بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وسمَّى ذلك العام بـ(عام الحزن)؛ حزنًا على عمِّه وزوجه خديجة بنت خويلد عليهما السلام اللذين كانا أعظم عون له في محنته الأولى وما رافقتها من تحديات، فحاولت جمع النصوص الخاصة به من خلال هذا السفر المهم في السيرة النبوية الذي ألفه ٱبن هشام جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري(ت٢١٣هـ)، حيث تم ٱستقصاء كُلِّ نص له علاقة بأبي طالب عليه السلام، وترتيب تلك النصوص ودراستها وتحليلها وترتيبها على وفق التسلسل الزمني المعهود في سيرته، والتي تدل على مواقفه العظيمة التي صدرت منه، بل تدل دلالة قاطعة على إيمانه بالشريعة الإسلامية المقدسة وتعاليمها، وما أتى به النبي صلى الله عليه وآله وسلم من تعاليم مقدسة، وبذل من أجلها ما بذل، وتحمَّل بسببها الأذى والمشقة الكبرى التي لم يتحملها أحد ممن رافق بداية البعثة الإسلامية، وهذا ما يلمسه القارىء للسيرة النبوية جليًّا، والتي سأحاول عرض نصوصها كما وردت من خلال هذا الكتاب حصرًا، وبيان ما يتعلق بمواقفه الجهادية في الدفاع عن العقيدة، وسأجعل عناوين هذه

الصفحات كما وردت في أصل الكتاب، مع بعض التعليقات الواردة من المعلِّق على الكتاب الدكتور عمر عبد السلام تدمري إن آحتاج النص إلى ذلك، وتم الرجوع في بعض الموارد إلى كتاب الروض الأنف لأبي القاسم عبد الرحمن السهيلي (ت٥٨١هـ) كونه مصدرًا مهمًّا لشرح سيرة آبن هشام، وسيتم إيراد النص المتعلق بالموضوع كما ورد في الكتاب، ثم بيان ما يتعلق به من قراءات تحليلية، ولم يتم بيان مفردات بعض الكلمات في أشعار أبي طالب كما وردت في أصل الكتاب خشية الإطالة والابتعاد عن الغاية، حيث يمكن طلبها من مصدرها، وسأحاول جعل القارىء لمواقف هذه الصفحات أنْ يفحص النصوص الواردة في ذلك فحصًا دقيقًا بعيدًا عن الشكوك والشبهات، وإنما يكون حاكمًا بنفسه -من دون تعصب أو تفريط- على هذه الشخصية من خلال ما ورد عنها وفيها؛ للوصول إلى حقائق تاريخية تبيَّن مواقف أولئك المجاهدين، ويتم من خلالها الرد على أعداء أهل البيت عليهم السلام، أو الجاهلين بحقيقة التاريخ ، أو المقلِّدين لأدعياء الشريعة المقدسة، الذين يحاولون بكُلِّ طريقة تشويه الحقائق المتعلقة بتلك المواقف العظيمة، أو إبعادها عن أصحابها، مع محاولة بائسة يائسة إبراز مواقف موهومة لشخصيات معادية للنبي والإسلام، والحقيقة أنَّ هذه مسؤولية كبيرة تقع على عاتق الباحثين المنصفين، الذين يقصدون الحقيقة بحثًا ونشرًا، تحقيقًا وتدقيقًا.

وسيتم تقسيم الكتاب[١] على مقدمة وتمهيد وستة عشر موردًا وهي جميع النصوص المتعلقة بأبي طالب عليه السلام تجاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم في سيرة ابن هشام بجزءيه[٢]، فضلًا عن موضوعات فرعية فخاتمة، نسلط الضوء بإيجاز في التمهيد على نبذة موجزة عن سيرة أبي طالب عليه السلام، وما ورد بحقه من روايات شريفة تدل على مقامه وتضحياته في سبيل الشريعة المقدسة، ثم عرض نصوص كتاب السيرة النبوية في موارد مع التعليق والشرح عليها فيما يتطلب ذلك، ثم خاتمة ما توصل إليه المؤلف من خلال تلك القراءة التحليلية للنصوص السيرة.

في الختام إنَّ هذه الصفحات التي تسلط الضوء على موضوعات مهمة تتعلق بالتاريخ الإسلامي ورجاله، وخصوصًا ما يتعلق بهذه الشخصية المعطاء التي حاول بعض إخفاء مقامها، أو تشويهها لأسباب مختلفة، وقد تم تحليل النصوص وقراءتها من جهات متعددة لبيان أهمية البحث والدراسة في هذه الموضوعات على وفق المنهج التحليلي للرواية التاريخية، وليس المنهج السردي لها، وهي انطلاقة مهمة لحث الباحثين والمؤلفين نحو دراسة التاريخ على أساس ذلك؛ لاستقراء النص وما يتضمنه من معانٍ مهمة ضمنية تحتاج إلى بيان وقراءة واعية لها، وقد بذلت -ولله الحمد- جهدًا كبيرًا من أجل بيان

---

(١) بعض موارد هذا الكتاب هو بحث تمت المشاركة به في المؤتمر العلمي العالمي الخامس والذي عقد تحت شعار (أبو طالب الإنسان والمؤمن والشاعر) وأقامه مجمع الإمام الحسين عليه السلام لتحقيق تراث أهل البيت عليهم السلام في العتبة الحسينية المقدسة ٣٠-٣١/تموز/٢٠٢٠م.

(٢) وهذه النصوص هي المختصة بالموضوع بعد استقصائها كاملة على قدر ما استطعت، وأرجو أنْ لا يكون قد فاتني نص منها له علاقة بالأمر.

هذه الحقيقة، وهذه الصفحات العظيمة لمواقف أبي طالب عليه السلام سيد المجاهدين، وأعظم أهل بيته وأصحابه.

ولا يفوتني أنْ أذكر أنه قد تم طباعة الكتاب بطبعته الأولى في دار الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم التابع لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة، ضمن (سلسلة السيرة -١٤-)، فلهم منِّي بالغ الشكر والتقدير لجهودهم العلمية في خدمة العلم والباحثين، وتسليط الضوء على المؤلفات والدراسات والبحوث الخاصة بالسيرة النبوية المباركة، وما يبذلونه في سبيل ذلك، والشكر موصول لهم جميعًا، وبالخصوص أخي وعزيزي مدير الدار (الأستاذ الدكتور عادل نذير الحساني)، وأستاذي (الأستاذ الدكتور داود خلف سلمان الزبيدي) لمتابعته الحثيثة.

وبعد الاطلاع على الطبعة رأيت من المهم إعادة طبعه ثانية؛ لأهمية الكتاب والشخصية الكريمية التي تدور الدراسة حولها، والمصدر المعتمد في أصل الدراسة، وتلافي بعض ما ورد في طبعته الأولى؛ رجاء أنْ يكون مرجعًا للباحثين يمكن الإفادة منه، فضلًا عن وجوب تعريف المسلمين بأوائل الناصرين والمضحِّين في سبيل العقيدة الإسلامية.

فأسأل الله تبارك تعالى أنْ يتقبل هذه البضاعة بأحسن قبوله، إنه سميع مجيب.

الكاظمية المقدسة

الجمعة ١٤ شوال ١٤٤٤هـ

٥ أيار ٢٠٢٣م

تمهيد: أبو طالب عليه السلام سيرته ومقامه في الإسلام.

أحاول في سطور موجزة بيان ما يتعلق بسيرة ناصر النبي وكافله أبي طالب عليه السلام؛ حيث كُتِبت عن هذه الشخصية وما يتعلق بها مؤلفات متعددة بصورة عامة[١]، ومنها ما تناولت جميع ما روي من نقاش في إيمانه خاصة والرد على الروايات المخالفة في ذلك[٢].

- أولاً: اسمه وولادته.

عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب، ويكنى بأبي طالب، وقد غلبت كنيته على اسمه، وقد ذكره أبوه عبد المطلب باسمه في قوله عند وصيته بالنبي قبل موته:

أُوْصِيْكَ يَا عَبْدَ مُنَافٍ بَعْدِيْ بِوَاحِدٍ بَعْدَ أَبِيْهِ فَرْدِ

---

(١) لقد تم تأليف كثير من المؤلفات عن سيرة أبي طالب عليه السلام ولعلها تبلغ مئة كتاب، فذكر الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني واحدًا وسبعين مؤلَّفًا في جريدة له، عند تقديمه لكتاب (مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين أبي طالب عليه السلام) للشيخ جعفر النقدي، وفي ذلك دلالة على عظمة هذه الشخصية ومكانتها في تاريخ المسلمين، ابتداءً من كتاب (أبو طالب بطل الإسلام) باللغة العربية، وانتهاءً بكتاب (معارج العرفان في عصمت أبي طالب عمران في آيات القرآن) باللغة الأوردية. ينظر: مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، الشيخ جعفر النقدي ص١٢-ص٢٩.

(٢) ينظر على سبيل المثال: موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين الأميني ٧/٤٤٤-٥٥٠، أبو طالب حامي الرسول وناصره، نجم الدين العسكري ص١٤٣-١٦٤، استدلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في عدم إيمان أبي طالب والرد عليها دراسة تاريخية، الأستاذة سحر عبد الله محمد.

وقوله:

وَصَّيْتُ مَــنْ كُنْيَتُــهُ بِطَالِــبِ عَبْدَ مُنَافٍ وَهُوَ ذُوْ تَجَارُبِ[١]

ولد قبل مولد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بخمس وثلاثين سنة، وخلف أباه عبد المطلب في بني هاشم خاصة، وقريش عامة، فكان شيخهم والمطاع فيهم، ورئيس مكــة الذي كانت قريش تسمِّيه الشيخ[٢].

- ثانيًا: ألقابه.

له ألقاب متعددة تدل على فضله في مكة ومقامه الذي كان يمتاز به على غيره من عامة الناس وخاصتهم، منها: سيد البطحاء، أو شيخ الأبطــح، أو شــيخ الأباطح، وشيخ قريش، ورئيس مكة، والشيخ، وبيضة البلد[٣]، وكل لقب من هذه الألقاب يحتاج إلى بيان وتفصيل.

- ثالثًا: ما قيل فيه.

١- روي عن الإمام الصادق عليه السلام قيل له: إنهم يزعمون أنَّ أبا طالــب كــان كافرًا؟ فقال: كذبوا، كيف يكون كافرًا وهو يقول:

أَلَمْ تَعْلَمُوْا أَنَّا وَجَدْنَا مُحَمَّــدًا نَبِيًّا كَمُوسَى خُطَّ فِيْ أَوَّلِ الْكُتُــبِ

وفي حديث آخر كيف يكون أبوطالب كافرًا وهو يقول:

لَقَدْ عَلِمُوْا أَنَّ ٱبْنَنَا لَا مُكَــذَّبٌ لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَــى بِقَيْــلِ الْأَبَاطِــلِ

---

(١) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسني ٱبن عنبة ص٢١.

(٢) وقد ذكر الشيخ محمد حسن آل ياسين في مقدمة تحقيق ديوان أبي طالب بإيجاز مــا يتعلق بهذه الشخصية العظيمة بأفضل بيان وغيره. ينظر: ديــوان أبي طالــب بــن عبــد المطلب، جمع أبي هفان عبد الله بن أحمد المهمزي العبدي ص١٠-١٨.

(٣) ينظر: شرح نهج البلاغة، ٱبن أبي الحديد المعتزلي ٢٩/١.

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ[١]

٢- نقل ابن أبي الحديد عن أبي جعفر النقيب (٦١٣هـ/١٢١٦م) قوله: ((ألستَ تعلم أنَّ أبا طالب كان رئيس بنى هاشم، وشيخهم والمطاع فيهم، وكان محمد رسول الله صلى الله عليه وآله يتيمه ومكفوله، وجاريًا مجرى أحد أولاده عنده، ثم خضع له واعترف بصدقه، ودان لأمره، حتى مدحه بالشعر كما يمدح الأدنى الأعلى .... حتى أقام أبا طالب -وحاله معه حاله- مقام المادح له لسرٍّ عظيمٍ، وخاصيةٍ شريفةٍ، وإنَّ في هذا لمعتبر عبرة .... القيِّم بنفقته وغذاء بدنه وكسوة جسده، حتى يمدحه بالشعر كما يمدح الشعراء الملوك والرؤساء، وهذا في باب المعجزات عند المنصف))[٢].

٣- قال السيد فخار بن معد الموسوي (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م): ((إذا تأملت أشعاره وتدبرت أخباره وجانبت هواك ولم تقلد في دينك أباك قطعت له بالإيمان الصحيح والإسلام الصريح))[٣].

٤- قال ابن أبي الحديد (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م): ((فإنَّ من قرأ علوم السِّيَر عرف أنَّ الاسلام لو لا أبو طالب لم يكن شيئًا مذكورًا))[٤].

٥- قال العلامة أحمد زيني دحلان فقيه مكة (١٣٠٤هـ/١٨٨٦م): ((أما بعد، فيقول العبد الفقير خادم طلبة العلم بالمسجد الحرام كثير الذنب والآثام،

---

(١) الكافي، الشيخ محمد بن يعقوب الكليني ١/٤٤٨-٤٤٩.

(٢) شرح نهج الباغة ١/١١٧.

(٣) الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب، السيد فخار بن معاد الموسوي ص١٣.

(٤) شرح نهج البلاغة ١/١٤٢.

المرتجى من ربه الغفران، أحمد بن زيني دحلان قد وقفت على تأليف جليل للعلامة النبيل مولانا السيد محمد بن رسول البرزنجي (ت١١٠٣هـ) .... فأردت أن ألخِّص في هذه الوريقات المقاصد التي أثبت بها نجاة أبي طالب؛ ليكون من عرفها في كُلِّ محفل هو الغالب))[١].

ومن لطيف ما ذكره الشيخ محمد حسن آل ياسين في هذه الشخصية العظيمة مذكِّرًا المسلمين بمقلمه وفضله، وما يجب عليها من حقوق تجاهه: ((وكان المرتقب من الأجيال الإسلامية التالية -وقد نشأت مستظلة بلواء الإسلام، ومتنعمة بلذة الإيمان، ومستضيئة بنور القرآن- أنْ تعطي لكُلِّ ذي حق حقه، فتحفظ للرعيل الأول من المجاهدين البواسل أياديهم البيضاء، وجهودهم المحمودة، ومساعيهم المشكورة في سبيل تثبيت دعائم الدين، وحفظه من كيد الكائدين وعدوان المعتدين، وأنْ تخص هذا الشيخ المناضل من الحب والتقدير والعرفان بالجميل بما يساوق عطاءه الضخم، ويناسب دوره الكبير في الحماية والرعاية، والعمل الدؤوب دفاعًا عن الإسلام ورسوله العظيم))[٢].

- رابعًا: أشعاره في النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

كان شاعرًا كبيرًا لا تدانيه الشعراء، وأشعاره تبيِّن علمه وإحاطته بعلوم الأدب، وقد حفظ التاريخ لنا مجموعة من شعره، ومن أهم ذلك ما ورد في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والدفاع عنه، والإيمان بدعوته، والحث على ذلك.

---

(١) أسنى المطالب في نجاة أبي طالب، أحمد زيني دحلان ص٣.

(٢) ديوان أبي طالب ص٢٨.

فقال عليه السلام:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّاكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِيْ نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ[1]

وقال:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوْا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوَسَّدَ فِيْ التُّرَابِ دَفِيْنَا

فَانْفِذْ لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ فَكَفَى بِنَا دُنْيًا لَدَيْكَ وَدِيْنَا[2]

وَدَعَوْتَنِيْ وَزَعَمْتَ أَنَّكَ نَاصِحٌ فَلَقَدْ صَدَقْتَ وَكُنْتَ قَبْلُ أَمِيْنَا[3]

وقال:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاسِ نَفْسًا وَوَالِدَا إِذَا عُدَّ سَادَاتُ الْبَرِيَّةِ أَحْمَدُ

نَبِيُّ الْإِلَهِ وَالْكَرِيْمُ بِأَصْلِهِ وَأَخْلَاقُهُ وَهُوَ الرَّشِيْدُ الْمُؤَيَّدُ

حَزِيْمٌ عَلَى جُلِّ الْأُمُوْرِ كَأَنَّهُ شِهَابٌ بِكَفِّيْ قَابِسٍ يَتَوَقَّدُ[4]

وقال في الصحيفة التي كتبتها قريش لمقاطعتهم:

مَحَا اللهُ مِنْهَا كُفْرَهُمْ وَعُقُوْقَهُمْ وَمَا نَقَمُوْا مِنْ صَادِقِ الْقَوْلِ مُنْجَبِ

وَأَصْبَحَ مَا قَالُوْا مِنَ الْأَمْرِ بَاطِلًا وَمَنْ يَخْتَلِقْ مَا لَيْسَ بِالْحَقِّ يُكذَب

فَأَمْسَى ٱبْنُ عَبْدِ اللهِ فِيْنَا مُصَدَّقًا عَلَى سَاخِطٍ مِنْ قَوْمِنَا غَيْرُ مُعْتَبِ

فَلَا تَحْسَبُوْنَا خَاذِلِيْنَ مُحَمَّدًا لَدَى غُرْبَةٍ مِنَّا وَلَا مُتَقَرِّبِ

---

(١) ديوان أبي طالب ص٧٢. وفي سيرة ٱبن هشام يلوذ به الهلاّف) كما سيأتي.

(٢) وفي نسخة من الديوان: وَٱبْشِرْ بِذَاكَ وَقَرَّ مِنْهُ عُيُوْنَا.

(٣) المصدر نفسه ص٨٩.

(٤) المصدر نفسه ص٩٢.

سَتَمْنَعُهُ مِنَّا يَدٌ هَاشِمِيَّةٌ ... مُرَكَّبُهَا فِيْ الْمَجْدِ غَيْرُ مُرَكَّبِ
وَيَنْصُرُهُ اللهُ الَّذِيْ هُوَ رَبُّهُ ... بِأَهْلِ الْعُقَيْرِ أَوْ بِسُكَّانِ يَثْرِبِ
فَلَا وَالَّذِيْ يَحْدَى لَهُ كُلُّ مُرْتَمٍ ... طَلِيْحٍ بِجَنْبَيْ نَخْلَةٍ فَالْمُحَصَّبِ
يَمِيْنًا صَدَقْنَا اللهَ فِيْهَا وَلَمْ نَكُنْ ... لِنَحْلِفَ بُطْلًا بِالْعَتِيْقِ الْمُحَجَّبِ
نُفَارِقُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَمَا بَالُ تَكْذِيْبِ النَّبِيِّ الْمُقَرَّبِ[1]

- خامسًا: وفاته.

توفي أبو طالب عليه السلام بمكة في السادس والعشرين من رجب عام ١٠هـ[2]، وهو عام الحزن على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيث توفيت زوجته خديجة عليها السلام، عن بضع وثمانين، ودفن في الحجون بمكة بجوار أبيه عبد المطلب، ولمَّا حضرته الوفاة دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال له: آبن أخ إذا أنا مِتُّ فأتِ أخوالك من بني النجار فإنهم أمنع الناس لما في بيوتهم[3].

ولما قيل لرسول الله: إنَّ أبا طالب قد مات. عظم ذلك في قلبه وآشتد له جزعه، ثم دخل فمسح جبينه الأيمن أربع مرات وجبينه الأيسر ثلاث مرات، ثم قال: يا

---

(١) ديوان أبي طالب ص١٠٠-١٠١.

العُقَيْرُ: مدينة بالبحرين. مُرْتَمٍ: ملقًى على الأرض من التعب والكلال. الطليح: المُعيي. نخلة: موضع بين مكة والطائف. يقال له: بطن نخلة. المحصَّب: موضع رمي الجمار بمنى.

(٢) وردت أقوال أخرى في شهر وفاته، وقد ذكر الشيخ الأميني مجموعة منها، ثم قال: وهذا الاختلاف موجود في تآليف الشيعة أيضًا. موسوعة الغدير ٧/٥٠٠.

(٣) الطبقات الكبرى، محمد بن سعد ٣/٥٤٣.

عم ربَّيت صغيرًا، وكفلت يتيمًا، ونصرتَ كبيرًا، فجزاك الله عني خيرًا، ومشى بين يدي سريره، وجعل يعرضه ويقول: وصلتكَ رحمٌ، وجزيت خيرًا[1].

(١) تاريخ اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب ٣٥/٢.

أبو طالب عليه السلام في السيرة النبوية لابن هشام

إنَّ الباحث في السيرة النبوية وما تضمنته من نصوص وردت بحق أبي طالب عليه السلام تأكد عظمة شخصيته، ومواقفه المشرفة في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصرته، كما تقدم في الروايات الشريفة، وهذا ما سيتم بيانه في هذه الصفحات من خلال ستة عشر موردًا، لها علاقة بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ ولادته إلى ما بعد رحيل عمِّه عليه السلام.

- المورد الأول: كفالة أبي طالب لرسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم).

وَكَانَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) بَعْدَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مَعَ عَمِّهِ أَبِيْ طَالِبٍ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ -فِيْمَا يَزْعُمُوْنَ- يُوصِيْ بِهِ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ عَبْدَ الله أَبَا رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) وَأَبَا طَالِبٍ أَخَوَانِ لِأَبٍ وَأُمٍّ، أُمُّهُمَا فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عَبْدِ بْنِ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُوْمٍ.

قَالَ ٱبْنُ هِشَامٍ: عَائِذُ بْنُ عِمْرَانَ بْنِ مَخْزُوْمٍ.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ أَبُوْ طَالِبٍ هُوَ الَّذِيْ يَلِيْ أَمْرَ رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) بَعْدَ جَدِّهِ، فَكَانَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: حَدَّثَنِيْ يَحْيَى بْنُ عَبَّادِ بْنِ عَبْدِ الله بْنِ الزُّبَيْرِ، أَنَّ أَبَاهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ رَجُلاً مِنْ لَهْبٍ- قَالَ ٱبْنُ هِشَامٍ: وَلَهْبٌ مِنْ أَزْدَ شَنُوْءَةَ -كَانَ عَائِفًا، فَكَانَ إِذَا قَدِمَ مَكَّةَ أَتَاهُ رِجَالُ قُرَيْشٍ بِغِلْمَانِهِمْ يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَيَعْتَافُ لَهُمْ فِيْهِمْ.

قَالَ: فَأَتَى بِهِ أَبُوْ طَالِبٍ وَهُوَ غُلَامٌ، مَعَ مَنْ يَأْتِيْهِ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) ثُمَّ شَغَلَهُ عَنْهُ شَيْءٌ.

فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ: الْغُلَامُ عَلَيَّ بِهِ.
فَلَمَّا رَأَى أَبُوْ طَالِبٍ حِرْصَهُ عَلَيْهِ غَيَّبَهُ عَنْهُ.
فَجَعَلَ يَقُوْلُ: وَيْلَكُمْ! رُدُّوْا عَلَيَّ الْغُلَامَ الَّذِيْ رَأَيْتُ آنِفًا، فَوَالله لَيَكُوْنَنَّ لَهُ شَأْنٌ.
قَالَ: فَانْطَلَقَ أَبُوْ طَالِبٍ[1].

إنَّ مما يمكن قراءته وظهوره في نص هذا المورد ما يأتي:

١- إنَّ أبا طالب عليه السلام أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ وفاة جده وهو في السنة الثامنة من عمره كما ذكرت الروايات الشريفة، وهذا يعني أنَّ مدة ملازمته له طالت أكثر من ثلاثين عامًا، وهي أطول مدة رافق فيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم شخصًا في حياته يتعاهده فيه دائمًا، ويرعاه، وهذا ما هو صريح وجلي في النص الآتي (وَكَانَ أَبُوْ طَالِبٍ هُوَ الَّذِيْ يَلِيْ أَمْرَ رَسُوْلِ اللهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ" بَعْدَ جَدِّهِ، فَكَانَ إلَيْهِ وَمَعَهُ).

٢- يؤكد النص مدى حرص أبي طالب عليه السلام على حياة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وحفظه عن كُلِّ سوء محتمل يصيبه، بل مجرد إشارة إلى ذلك، وفيه بيان لشدة الحب والتعلق به، ومدى التفاني في حفظه عن كُلِّ عين، بل مجرد تفكير الآخرين بشأنه ومقامه، فلنتأمل بدقة في النص الآتي (فَلَمَّا رَأَى أَبُوْ طَالِبٍ حِرْصَهُ عَلَيْهِ غَيَّبَهُ عَنْهُ).

٣- مبالغة أبي طالب عليه السلام في إخفاء شأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومقامه، ولو بالحديث عنه، أو بالإشارة إليه أمام الآخرين ممن يخفى عنهم مقامه، فلنتأمل ما موقف أبي طالب عليه السلام الذي يؤكد تلك المبالغة كما في النص الوارد بعد إصرار

(١) السيرة النبوية، لابن هشام الحميري ١/٢٠٤.

العائف طلب رؤية النبي صلى الله عليه وآله وسلم (فَانْطَلَقَ أَبُوْ طَالِبٍ)، فلم يفسح أبو طالب أدنى مجال للعائف في تلبية طلبه ورغبته.

٤- أرى أنَّ ذهاب أبي طالب عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الطائف إنما لتأكيد حاله ومعرفته في نفسه، لا لجهله بحاله ومقامه الشريفين، وما في ذلك من طمأنينة له يتعرف عليها من خلال علوم أخرى يعتمد الناس عليها في معرفة أخبار الغيب، وهذا ما نراه في النص الآتي (فَأَتَى بِهِ أَبُوْ طَالِبٍ وَهُوَ غُلَامٌ، مَعَ مَنْ يَأْتِيْهِ).

٥- إنَّ هذه الأمر الذي قام به أبو طالب عليه السلام قد أظهر لقريش وغيرها مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ونشر ذلك بين الناس، على رغم حرص عمِّه عليه في إخفاء مقامه، وهذا ما نلمسه في النص الوارد عن دهشة العائف به ومناداته (فَجَعَلَ يَقُوْلُ: وَيْلَكُمْ! رُدُّوْا عَلَيَّ الْغُلَامَ الَّذِيْ رَأَيْتُ آنِفًا، فَوَاللهِ لَيَكُوْنَنَّ لَهُ شَأْنٌ).

*** الكفالة الإلهية لأولياء الله تعالى:**

إنَّ من المسائل المهمة التي يجب على الباحث أنْ يبحث عنها بدقة وتأمل وتفكُّر هو الكفالة والتربية وتهيئة البيئة الخاصة المتعلقة بالأنبياء والأولياء، وتمام العناية الإلهية في ذلك، ولنذكر في ذلك مثلين عظيمين كما أشار إليهما القرآن الكريم، وبيان كمال العناية الإلهية في توفير بيئة خاصة لهما.

- **الأول:** النبي موسى عليه السلام، وما جرى عليه بعد ولادته، فالقرآن يقص علينا ذلك بصورة واضحة جلية، تؤكد مدى العناية الإلهية العظيمة في الحفاظ عليه وتربيته وبناء شخصيته، فقد أمر الله تعالى أمه الطاهرة أنْ ترميه في البحر إنْ خافت عليه من فرعون عصره وطاغيته، وهو أمر فوق التصور والتصديق

بصورة عامة في ٱمتثال مثل هذا الأمر، وخصوصًا أنها الأم بكُلِّ ما فيه هذا المقام من حنان ومحبة ومخافة على الأبناء، ولكن الله تعالى لم يتركها أسيرة لمشاعرها وما ينبعث عنها تجاه وليدها، فلقد أحاطها بعنايته الخاصة وهي تحمل نبيًّا من أنبيائه، بل رسولًا من أولي العزم، فأتاها الخطاب الإلهي بأعظم صورة إلهية غيبية، لا يمكن لأحد القيام بالامتثال إليه لولا تلك العناية: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوْسَى أَنْ أَرْضِعِيْهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيْهِ فِيْ الْيَمِّ وَلَا تَخَافِيْ وَلَا تَحْزَنِيْ إِنَّا رَادُّوْهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوْهُ مِنَ الْمُرْسَلِيْنَ﴾[1]، فبعد أن ٱستمعت كافلة النبي إلى هذا الخطاب صار أمرها وحالها بين خوفين شديدين، لا يمكن لها بقواها الفطرية الطبيعية أنْ تتحمل التفكير بأحدهما، فضلًا عن الوقوع فيهما، فالأول أنْ تترك وليدها أسيرًا لبطش فرعون الطاغية الذي يبحث عن كُلِّ مولود ليقتله، وقد جعل أعوانه تبحث عن النساء الحوامل، فأيُّ حال كانت عليه؟!! والآخر أنْ تترك وليدها أسيرًا لذلك الخطاب الرهيب الذي يأمرها برميه في البحر على تلك الحال من الضعف المطلق؟!!

فهذان الحالان مما لا يمكن لأحد أنْ يتخذ فيهما قرارًا راسخًا بمجرد التفكير بهما، وخصوصًا لمن لديه أولاد ويعرف معنى تلك الرابطة الفطرية بينهما، وبالأخص الأم التي لا يمكن لأحد أنْ يصف علاقتها بأبنائها عامة، وبالمولود حديثًا خاصة، بل وخصوصًا للذي يرى بنفسه قوة البطش والقتل من الطغاة الذين لا يكتفون بالوعيد والتهديد، بل القتل والتنكيل سبيلهم للحفاظ على

(١) سورة القصص: الآية ٧.

ملكهم، وخصوصًا ممن يهددهم بزواله كما كان هو حال موسى الموعود لزوال فرعون وملكه!!

ولكن أم موسى اتخذت القرار الثاني على ما فيه من إعجاز بنجاة وليدها، ولكن ليس اعتمادًا على قوة العقل أو العاطفة، بل على قوة العقيدة؛ لترى آثار تعهد الله تعالى وكفالته التي لا حدود لها، ولا يمكن للعقل إدراكها، فهذه هي الكفالة الأولى حيث سخَّر الله البحر لحفظ وليِّه، ولكن فرعون الذي كان يبحث في كُلِّ مكان وزاوية عن الوليد الذي يهدد ملكه وزوال عرشه، ويراقب النساء الحوامل لجل قتله، فقد أتاه ذلك الوليد إليه وفي بيته ﴿فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُوْنَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُوْدَهُمَا كَانُوْا خَاطِئِيْنَ * وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِيْ وَلَكَ لَا تَقْتُلُوْهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ﴾[1]، فلو تأملنا في الوعد الإلهي للكفالة لرأينا عظمتها، حيث يتحوَّل ذلك الوليد العدو لفرعون قرة عين لزوجه، وهذه هي الكفالة الثانية لوليِّه، ثم يتحقق الوعد الإلهي بأبهى وأعظم صوره في الكفالة الثالثة بالعودة إلى أمه بعد جهاد عظيم ومعاناة وآلام، فكان ذلك الوقت الذي يعود إلى أحضان أمه، بعد أنْ كادت العاطفة أنْ تقتلها حزنًا على وليدها ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى فَارِغًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِيْ بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُؤْمِنِيْنَ* وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيْهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُوْنَ * وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُوْنَهُ لَكُمْ

(١) سورة القصص: الآيتان ٨-٩.

وَهُمْ لَهُ نَاصِحُوْنَ * فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ الله حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُوْنَ﴾[1].

فهذه الكفالة من أهم دروس العناية الإلهية بأوليائه وخلفائه في الأرض، وما كانت من عناياته المختلفة لمراحل حياته المتعددة بعد ذلك.

- **الثاني:** مريم عليها السلام وما جرى عليها عند ولادتها، فالقرآن الكريم يقص علينا ما جرى عليهما عندما نذرت أمها جنينها لله تعالى، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّيْ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِيْ بَطْنِيْ مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيْ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيْعُ الْعَلِيْمُ * فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّيْ وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّيْ سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّيْ أُعِيْذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيْمِ * فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُوْلٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ الله إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]، وقد ورد في بيان ذلك: ((روي عن أبي عبد الله عليه السلام قال أوحى الله تعالى إلى عمران إني واهب لك ذكرًا مباركًا يبرىء الأكمه والأبرص، ويحيي الموتى بإذن الله، و جاعله رسولًا إلى بني إسرائيل، فحدَّث آمرأته حنَّة بذلك وهي أم مريم، فلما حملت بها قالت ﴿رَبِّ إِنِّيْ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِيْ بَطْنِيْ مُحَرَّرًا﴾، ﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّيْ﴾ أي نذري قبول رضا .... قيل إنَّ عمران هلك وهي حامل، فوضعت بعد ذلك، يعني ولدت مريم، وكانت ترجو أنْ يكون غلامًا فلمَّا وضعتها خجلت وآستحيت ....

(١) سورة القصص: الآيات ١٠-١٣.

(٢) سورة آل عمران: الآيات ٣٥-٣٧.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾؛ لأَنَّها لا تصلح لما يصلح الذكر له، و إنَّما كان يجوز لهم التحرير في الذكور دون الإناث؛ لأَنَّها لا تصلح لما يصلح له الذكر من التحرير لخدمة بيت المقدس، لما يلحقها من الحيض والنفاس و الصيانة عن التبرج للناس. وقال قتادة لم يكن التحرير إلا في الغلمان فيما جرت به العادة))[1].

وعلى رغم كون مولودها كان أنثى فالله تعالى قد تقبَّل ذلك النذر ، وليس من مقام الأنثى أنْ تكون خادمة للبيت، ولكنَّ العناية الإلهية في كفالتها كانت عظيمة وظاهرة، وهذا ما يمكن بيانه ومعرفته في قوله تعالى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُوْلٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾، فهذه البشارات الثلاثة (القبول، والإنبات، والكفالة) دالة على علو المقام ورفعته، ولم يتوقف الأمر عند قبول الله تعالى نذر ذلك المولود الذي سيكون له شأن عظيم في ولادة وٱحتضان نبي الله تعالى عيسى عليه السلام ، بل كان هناك تسابق بين العلماء نحو تلك الكفالة لمريم وتعهدها، بل والخصام فيما بينهم، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُوْنَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُوْنَ﴾[2]، فقد ورد في بيان ذلك التخاصم في كفالة مريم: ((﴿وَمَا كُنْتَ﴾ يا محمد ﴿لَدَيْهِمْ﴾ عندهم ﴿إِذْ يُلْقُوْنَ أَقْلَامَهُمْ﴾ التي كانوا يكتبون بها التوراة في الماء .... وقيل: أقلامهم أقداحهم للاقتراع، جعلوا عليها علامات يعرفون بها مَنْ يكفل مريم على جهة القرعة، ﴿أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ وفيه حذف، أي لينظروا أيهم تظهر قرعته

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، الفضل بن الحسن الطبرسي ٢/٢٨١.

(٢) سورة آل عمران: ٤٤.

ليكفل مريم، وهذا تعجيب من الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من شدة حرصهم على كفالة مريم والقيام بأمرها عن قتادة. وقيل: هو تعجيب من تدافعهم لكفالتها لشدة الأزمة التي لحقتهم، حتى وفَّقَ لها خير الكفلاء لها زكريا ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُوْنَ﴾ فيه دلالة على أنهم قد بلغوا في التشاحِّ عليها إلى حد الخصومة))[1].

فلنتأمل في النصوص الآتية (تعجيب من تدافعهم لكفالتها لشدة الأزمة التي لحقتهم)، و(حتى وفَّقَ لها خير الكفلاء لها زكريا)، و(قد بلغوا في التشاحِّ عليها إلى حد الخصومة)، ففي كُلِّ ذلك عناية تامة بهذه الكفالة الخاصة لمريم، فكان الذين أرادوا كفالتها أعظم الناس في الأمة وعلماؤها، وأنَّ هؤلاء قد عرفوا مقامها ومنزلتها عند الله تعالى، فكان منهم ذلك التخاصم للفوز بكفالتها، ولكن الله تعالى وفَّقَ لها نبيًّا من أنبيائه ليقوم بتربيتها وكفالتها خاصة ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

إنَّ هذين المثالين لكفالة الله تعالى لأوليائه، حيث تسخير مَنْ يتعهد ذلك ويقوم بشأنه فيه دلالة على أنَّ الله تعالى يتعاهد أولياءه قبل ولادتهم إلى ما بعد ذلك في أعظم وأجلى صور العناية الإلهية، فقد رأينا ما جرى على أم موسى من أجل نبيه الله موسى عليه السلام، وما جرى على أم مريم وعلى مريم من أجل نبي الله عيسى عليه السلام، فهل يترك الله تعالى خاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وآله وسلم من غير عناية ورعاية، وكفالة إلهية؟!!

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن ٢/٢٩٢.

فهل يجعل خاتم أنبيائه المولود يتيمًا من غير رعاية عند أعاظم الناس في الأمة؟!!

وهل يمكن أنْ يتعاهده أحد هو كافر بالله تعالى ومن أعدائه؟!!

فإذا كان الله تعالى قد أقام المعجزات من أجل أُمِّ نبيه موسى عليه السلام، وسخَّر نبيًّا من أنبيائه لكفالة أُمِّ نبيه عيسى عليه السلام، أفلا يسخِّرُ وليًّا من أوليائه يتكفَّل سيد النبيين والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وسلم!!

وإنَّ في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى﴾[1] لدلالة جلية على أنَّ الله تعالى قد اعتنى بكفالته، كما هو الحال مع أنبيائه وأوليائه، فكانت أعظم كفالته عند عمِّه أبي طالب عليه السلام الذي تعاهده لسنوات طويلة حتى بعد بعثته المباركة، والعقل يأبى أنْ يكون احتضان أنبياء الله تعالى عند الكافرين به تعالى، الذين يعادون الله ويشركون به أو يكفرون، قال الفخر الرازي (ت٦٠٤هـ/١٢٠٧م): ((إنَّ عبد الله بن عبد المطلب فيما ذكره أهل الأخبار توفي وأم رسول الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" حامل به، ثم ولد رسول الله فكان مع جده عبد المطلب ومع أمه آمنة، فهلكت أمه آمنة وهو ابن ست سنين، فكان مع جده، ثم هلك جده بعد أمه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين، وكان عبد المطلب يوصي أبا طالب به؛ لأنَّ عبد الله وأبا طالب كانا من أم واحدة[2]،

---

(١) سورة الضحى: الآية ٦.

(٢) لا أظنُّ أنَّ هذا هو السبب الذي دعا عبد المطلب أنْ يجعل أمر الكفالة عند أبي طالب، بل لمعرفته التامة بمقام ابنه أبي طالب وفضله، ومقدرته على حسن الرعاية والتعهد بتربية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، تربية تحقق الغاية المتوخاة منه في المستقبل، وهكذا كان حقيقة كما أراده عبد المطلب، أو في الحقيقة كما ألهم الله تعالى عبد المطلب أنْ يجعل الأمر من بعده في ولده أبي طالب عليه السلام.

فكان أبو طالب هو الذي يكفل رسول الله بعد جده إلى أنْ بعثه الله للنبوة ، فقام بنصرته مدة مديدة، ثم توفي أبو طالب بعد ذلك، فلم يظهر على رسول الله يُتْمٌ البتة، فأذكره الله تعالى هذه النعمة))[1].

فهذا كافل النبي وناصره، والمدافع عنه قبل بعثته، والمدافع عنه وعن رسالته بعد بعثته، وهو يصدع في الأصقاع، وعلى الأسماع بقوله:

وَاللهِ لَنْ يَصِلُوْا إِلَيْكَ بِجَمْعِهِمْ حَتَّى أُوَسَّدَ فِـيْ التُّـرَابِ دَفِيْنَـا

فَانْفِذْ لِأَمْرِكَ مَا عَلَيْكَ غَضَاضَةٌ وَٱبْشِرْ بِذَاكَ وَقَـرَّ مِنْـهُ عُيُوْنَـا[2]

فأرجو أنْ يكون القارىء الكريم متفكِّرًا متأملًا في هذه العناية الإلهية لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وأثر كفالة أبي طالب عليه السلام في السيرة النبوية المباركة.

---

(١) التفسير الكبير، محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي ١٩٦/٣١.

فلنتأمل في قول الرازي: ((فلم يظهر على رسول الله يُتْمٌ البتة)). فعدم ظهور اليُتم البتة فيه بيان على عظمة الكافل له، وأداء حقوق الكفالة، والمبالغة في الحفاظ عليه، حتى حافظ عليه بما أوتي من قوة؛ ليكون مُعَدًّا لتحمُّل ذلك المقام العظيم.

وهذا ما أكده المفسرون في تفاسيرهم، قال الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م) في الآية المباركة: ((والمعنى: ألم تكن يتيمًا، وذلك أنَّ أباه مات وهو جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه .... فكفله عمه أبو طالب، وعطَّفَهُ الله عليه فأحسن تربيته)). الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر ٣٩٢/٦

وقال الألوسي (ت١٢٧٠هـ/١٧٩٢م) في الآية المباركة: ((أي ألم يعلِّمك طفلًا لا أبًا لك، فضمَّك إلى من قام بأمرك .... ولمَّا بلغ عليه الصلاة والسلام ثماني سنين مات جده فكفله عمه الشفيق الشقيق أبو طالب بوصية من أبيه عبد المطلب، وأحسن تربيته صلى الله عليه [وآله] وسلم)). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود ٣٨٠/١٥.

(٢) ديوان أبي طالب ص٨٩.

- المورد الثاني: أبو طالب عليه السلام وما ورد عن الراهب بحيرى في النبي[١].

١- قصة بحيرى.

مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) يَخْرُجُ مَعَ عَمِّهِ إِلَى الشَّامِ: قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ خَرَجَ فِيْ رَكْبٍ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا تَهَيَّأَ لِلرَّحِيْلِ، وَأَجْمَعَ الْمَسِيْرَ صَبَّ[٢] بِهِ رَسُوْلُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ)- فِيْمَا يَزْعُمُوْنَ-.

فَرَقَّ لَهُ وَقَالَ: وَاللهِ لَأَخْرُجَنَّ بِهِ مَعِيْ وَلَا يُفَارِقُنِيْ، وَلَا أُفَارِقُهُ أَبَدًا، أَوْ كَمَا قَالَ فَخَرَجَ بِهِ مَعَهُ[٣].

٢- بحيرى يحتفي بتجار قريش.

فَلَمَّا نَزَلَ الرَّكْبُ بُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، وَبِهَا رَاهِبٌ يُقَالُ لَهُ بَحِيْرَى فِيْ صَوْمَعَةٍ لَهُ، وَكَانَ إِلَيْهِ عِلْمُ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ وَلَمْ يَزَلْ فِيْ تِلْكَ الصَّوْمَعَةِ مُنْذُ قَطُّ رَاهِبٌ، إِلَيْهِ يَصِيْرُ عِلْمُهُمْ عَنْ كِتَابٍ فِيْهَا -فِيْمَا يَزْعُمُوْنَ- يَتَوَارَثُوْنَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ، فَلَمَّا نَزَلُوْا ذَلِكَ الْعَامَ بِبَحِيْرَى وَكَانُوْا كَثِيْرًا مَا يَمُرُّوْنَ بِهِ قَبْلَ ذَلِكَ فَلَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَعْرِضُ لَهُمْ حَتَّى كَانَ ذَلِكَ الْعَامُ، فَلَمَّا نَزَلُوْا بِهِ قَرِيْبًا مِنْ صَوْمَعَتِهِ صَنَعَ لَهُمْ طَعَامًا كَثِيْرًا، وَذَلِكَ -فِيْمَا يَزْعُمُوْنَ- عَنْ شَيْءٍ رَآهُ وَهُوَ فِيْ صَوْمَعَتِهِ،

---

(١) في هذا المورد المتعلق بالراهب النصراني بحيرا عنوانات خمسة في السيرة النبوية لها علاقة بموضوع واحد سيتم جمعها في هذا المورد.

(٢) الصبابة: رقة الشوق. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ١/٢٠٦.

(٣) السيرة النبوية ١/٢٠٤-٢٠٥ .

يَزْعُمُوْنَ أَنَّهُ رَأَى رَسُوْلَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) وَهُوَ فِيْ صَوْمَعَتِهِ، فِيْ الرَّكْبِ حِيْنَ أَقْبَلُوْا، وَغَمَامَةٌ تُظِلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ.

قَالَ: ثُمَّ أَقْبَلُوْا فَنَزَلُوْا فِيْ ظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيْبًا مِنْهُ.

فَنَظَرَ إِلَى الْغَمَامَةِ حَيْنَ أَظَلَّتْ الشَّجَرَةُ، وَتَهَصَّرَتْ[1] أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) حَتَّى ٱسْتَظَلَّ تَحْتَهَا، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ بَحِيْرَى نَزَلَ مِنْ صَوْمَعَتِهِ وَقَدْ أَمَرَ بِذَلِكَ الطَّعَامَ فَصُنِعَ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: إِنِّيْ قَدْ صَنَعْتُ لَكُمْ طَعَامًا يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ تَحْضُرُوْا كُلُّكُمْ، صَغِيرُكُمْ وَكَبِيرُكُمْ، وَعَبْدُكُمْ وَحُرُّكُمْ.

فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْهُمْ: وَالله يَا بَحِيْرَى إِنَّ لَكَ لَشَأْنًا الْيَوْمَ، فَمَا كُنْتَ تَصْنَعُ هَذَا بِنَا، وَقَدْ كُنَّا نَمُرُّ بِكَ كَثِيْرًا، فَمَا شَأْنُكَ الْيَوْمَ؟

قَالَ لَهُ بَحِيْرَى: صَدَقْتَ، قَدْ كَانَ مَا تَقُوْلُ، وَلَكِنَّكُمْ ضَيْفٌ، وَقَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أُكْرِمَكُمْ وَأَصْنَعَ لَكُمْ طَعَامًا فَتَأْكُلُوْا مِنْهُ كُلُّكُمْ.

فَاجْتَمِعُوا إِلَيْهِ، وَتَخَلَّفَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ لِحَدَاثَةِ سِنِّهِ، فِيْ رِحَالِ الْقَوْمِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ.

فَلَمَّا نَظَرَ بَحِيْرَى فِي الْقَوْمِ لَمْ يَرَ الصِّفَةَ الَّتِي يَعْرِفُ وَيَجِدُ عِنْدَهُ.

فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَا يَتَخَلَّفَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ عَنْ طَعَامِيْ.

قَالُوْا لَهُ: يَا بَحِيْرَى، مَا تَخَلَّفَ عَنْكَ أَحَدٌ يَنْبَغِيْ لَهُ أَنْ يَأْتِيَكَ إِلَّا غُلَامٌ، وَهُوَ أَحْدَثُ الْقَوْمِ سِنًّا، فَتَخَلَّفَ فِيْ رِحَالِهِمْ.

فَقَالَ: لَا تَفْعَلُوْا ٱدْعُوْهُ فَلِيَحْضُرْ هَذَا الطَّعَامَ مَعَكُمْ.

---

(١) تهصَّرت: تكسَّرت. لسان العرب، ٱبن منظور مادة (هصر)

قَالَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ قُرَيْشٍ مَعَ الْقَوْمِ، وَاَللَّاتِ وَالْعُزَّى، إنْ كَانَ لَلُؤْمٌ بِنَا أَنْ يَتَخَلَّفَ ٱبْنُ عَبْدِ الله بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنْ طَعَامٍ مِنْ بَيْنَنَا، ثُمَّ قَامَ إلَيْهِ فَاحْتَضَنَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَ الْقَوْمِ[1].

٣- بحيرى يتثبَّت من محمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم).

فَلَمَّا رَآهُ بَحِيْرَى جَعَلَ يَلْحَظُهُ لَحْظًا شَدِيدًا وَيَنْظُرُ إلَى أَشْيَاءَ مِنْ جَسَدِهِ، قَدْ كَانَ يَجِدُهَا عِنْدَهُ مِنْ صِفَتِهِ، حَتَّى إذَا فَرَغَ الْقَوْمُ مِنْ طَعَامِهِمْ وَتَفَرَّقُوْا، قَامَ إلَيْهِ بَحِيْرَى، فَقَالَ: يَا غُلَامُ، أَسْأَلُكَ بِحَقِّ اللَّاتِ وَالْعُزَّى إلَّا مَا أَخْبَرْتَنِيْ عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ.

وَإِنَّمَا قَالَ لَهُ بَحِيْرَى ذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ سَمِعَ قَوْمَهُ يَحْلِفُوْنَ بِهِمَا، فَزَعَمُوْا أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) قَالَ: لَا تَسْأَلْنِيْ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى شَيْئًا، فَوَالله مَا أَبْغَضْتُ شَيْئًا قَطُّ بُغْضَهُمَا.

فَقَالَ لَهُ بَحِيْرَى: فَبِالله إلَّا مَا أَخْبَرْتَنِيْ عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ.

فَقَالَ لَهُ: سَلْنِي عَمَّا بَدَا لَكَ.

فَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ فِيْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُوْرِهِ.

فَجَعَلَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) يُخْبِرُهُ، فَيُوَافِقُ ذَلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيْرَى مِنْ صِفَتِهِ.

ثُمَّ نَظَرَ إلَى ظَهْرِهِ، فَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ.

قَالَ ٱبْنُ هِشَامٍ: وَكَانَ مِثْلَ أَثَرِ الْمِحْجَمِ.

---

(١) السيرة النبوية ١/٢٠٥-٢٠٦.

٤- بحيرى يوصي أبا طالب بمحمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم).

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا فَرَغَ، أَقْبَلَ عَلَى عَمِّهِ أَبِيْ طَالِبٍ.

فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الْغُلَامُ مِنْكَ؟

قَالَ: ٱبْنِي.

قَالَ لَهُ بَحِيْرَى: مَا هُوَ بِابْنِكَ، وَمَا يَنْبَغِيْ لِهَذَا الْغُلَامِ أَنْ يَكُوْنَ أَبُوهُ حَيًّا.

قَالَ: فَإِنَّهُ ٱبْنُ أَخِيْ.

قَالَ: فَمَا فَعَلَ أَبُوْهُ؟

قَالَ: مَاتَ وَأُمُّهُ حُبْلَى بِهِ.

قَالَ: صَدَقْتَ، فَارْجِعْ بِابْنِ أَخِيْكَ إِلَى بَلَدِهِ، وَٱحْذَرْ عَلَيْهِ يَهُوْدٌ، فَوَاللهِ لَئِنْ رَأَوْهُ وَعَرَفُوْا مِنْهُ مَا عَرَفْتُ لَيَبْغُنَّهُ شَرًّا، فَإِنَّهُ كَائِنٌ لِابْنِ أَخِيْكَ هَذَا شَأْنٌ عَظِيْمٌ، فَأَسْرِعْ بِهِ إِلَى بِلَادِهِ[1].

٥- بعض من أهل الكتاب يريدون بمحمد (صلى الله عليه [وآله] وسلم) الشر.

فَخَرَجَ بِهِ عَمُّهُ أَبُوْ طَالِبٍ سَرِيْعًا حَتَّى أَقْدَمَهُ مَكَّةَ حَيْنَ فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ بِالشَّامِ، فَزَعَمُوْا فِيمَا رَوَى النَّاسُ: أَنَّ زُرَيْرًا وَتَمَّامًا وَدَرِيْسًا -وَهُمْ نَفَرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ- قَدْ كَانُوْا رَأَوْا مِنْ رَسُوْلِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) مِثْلَ مَا رَآهُ بَحِيْرَى فِيْ ذَلِكَ السَّفَرِ، الَّذِيْ كَانَ فِيْهِ مَعَ عَمِّهِ أَبِيْ طَالِبٍ، فَأَرَادُوْهُ فَرَدَّهُمْ عَنْهُ بَحِيْرَى، وَذَكَّرَهُمْ اللهَ وَمَا يَجِدُوْنَ فِي الْكِتَابِ مِنْ ذِكْرِهِ وَصِفَتِهِ، وَأَنَّهُمْ إِنْ أَجْمَعُوْا لِمَا

(١) السيرة النبوية ١/٢٠٧.

أَرَادُوْا بِهِ لَمْ يَخْلُصُوْا إِلَيْهِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى عَرَفُوْا مَا قَالَ لَهُمْ، وَصَدَّقُوْهُ بِمَا قَالَ، فَتَرَكُوْهُ وَٱنْصَرَفُوْا عَنْهُ[1].

إنَّ كُلَّ هذه الموضوعات المتعلقة بالراهب بحيرى وعلاقته بمعرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبيان فضله ومقامه، وتعريف أبي طالب عليه السلام بنبوته، ووصيته الحفاظ عليه، وتحذيره من مكائد اليهود، ويمكن مناقشتها من جانبين مهمين: الأول: هو دور هذه الروايات التاريخية في نسبة ٱكتشاف النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى النصارى في أوائل حياته الشريفة، وما في ذلك من آثار، حيث علم الراهب بحيرا بذلك من دون غيره، وعطفه عليه، ورِفقه به، وهذا ما ذهب إليه بعض المستشرقين من أنَّ النبي قد تعلم أحكام دينه، أو التعاليم الأولى للشريعة المقدسة من رهبان النصارى، ولم يتوقف الدور النصراني في النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم عند ذلك، ومما ورد في ذلك عن بعض المستشرقين (بالادعاء أنَّ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم قد أخذ القرآن من بحيرا وهو أحد أحبار النصارى، عن طريق اللقاء الذي جمعهم معًا))[2]**، ولكن الأمر أدهى من ذلك حيث يرى أحد المستشرقين أنَّ هذا الراهب كان حريصًا على التبشير بدينه فرأى في محمد فرصته ليتم تحويله إلى النصرانية!!**[3]

---

(١) السيرة النبوية ١/٢٠٧.

(٢) موقف المستشرقين من السيرة النبوية (تطابق المظهر وٱختلاف المضمون)، الدكتور قاسم جواد الجيزاني ص٢٧٦.

(٣) ينظر: المصدر نفسه ص٢٧٧.

بل إنهم أصحاب الأثر الكبير في تعريف النبي بالوحي الذي أُنزل عليه أول بدء الرسالة الإلهية، وهذا ما نراه مأثورًا في روايات السيرة النبوية، وما كان من دور ورقة بن نوفل في ذلك، فقد ذكر ٱبن هشام تحت عنوان (خديجة تخبر ورقة بن نوفل): ((ثُمَّ قَامَتْ فَجَمَعَتْ عَلَيْهَا ثِيَابَهَا، ثُمَّ ٱنْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَهُوَ ٱبْنُ عَمِّهَا، وَكَانَ وَرَقَةُ قَدْ تَنَصَّرَ، وَقَرَأَ الْكُتُبَ، وَسَمِعَ مِنْ أَهْلِ التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيْلِ، فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا أَخْبَرَهَا بِهِ رَسُوْلُ الله "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ" أَنَّهُ رَأَى وَسَمِعَ. فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: قُدُّوْسٌ قُدُّوْسٌ، وَالَّذِي نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ لَئِنْ كُنْتِ صَدَقْتِيْنِيْ يَا خَدِيْجَةُ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوْسُ الْأَكْبَرُ الَّذِيْ كَانَ يَأْتِيْ مُوْسَى، وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، فَقُوْلِيْ لَهُ: فَلْيَثْبُتْ.... فَرَجَعَتْ خَدِيْجَةُ إِلَى رَسُوْلِ الله "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ" فَأَخْبَرَتْهُ بِقَوْلِ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، فَلَمَّا قَضَى رَسُوْلُ الله "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ" جِوَارَه وَٱنْصَرَفَ، صَنَعَ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ: بَدَأَ بِالْكَعْبَةِ، فَطَافَ بِهَا، فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَهُوَ يَطُوْفُ بِالْكَعْبَةِ، فَقَالَ: يَا ٱبْنَ أَخِيْ أَخْبِرْنِيْ بِمَا رَأَيْتَ وَسَمِعْتَ، فَأَخْبَرَهُ رَسُوْلُ الله "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ"، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِيْ نَفْسِيْ بِيَدِهِ، إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوْسُ الْأَكْبَرُ الَّذِيْ جَاءَ مُوْسَى ....)) [1].

فالرواية تبيِّن بوضوح مقام ورقة بن نوفل في إثبات نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ومعرفته بالنبوة من النبي نفسه!!

(١) السيرة النبوية ١/٢٠٧.

ولنتأمل في ألفاظ الرواية التي تظهر مكانة ورقة بن نوفل، وأثره ووجوده في روايات مبعث النبي:

* ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ.

* فَقَالَ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ: قُدُّوْسٌ قُدُّوْسٌ، وَالَّذِيْ نَفْسُ وَرَقَةَ بِيَدِهِ لَئِنْ كُنْتِ صَدَقْتِيْنِيْ يَا خَدِيْجَةُ لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوْسُ الْأَكْبَرُ الَّذِيْ كَانَ يَأْتِيْ مُوسَى، وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

* فَقُولِي لَهُ: فَلْيَثْبُتْ.

* فَرَجَعَتْ خَدِيْجَةُ إِلَى رَسُوْلِ اللهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ" فَأَخْبَرْتُهُ بِقَوْلِ وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ.

* فَلَقِيَهُ وَرَقَةُ بْنُ نَوْفَلٍ وَهُوَ يَطُوْفُ بِالْكَعْبَةِ.

* فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: وَالَّذِي نَفْسِيْ بِيَدِهِ، إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

إنَّ وجود هذه الشخصية بقوة في روايات السيرة تثبت أمرين مهمين في حياة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهو أنه كان قد تم التعرف على فضله ومقامه بين نُبُوءَتَين نصرانيتين، ٱبتدأت الأولى ببحيرا، وٱختتمت الأخرى بورقة بن نوفل، وهذا يحتاج إلى كثير من التأمل والبحث!!

ويمكن بيان ما يتعلق بهذه الروايات إيجازًا بما يأتي:

١- إما أنْ تكون مكذوبة إجمالًا وتفصيلًا؛ لما فيها من دلالات واضحة الوضع من قبل غير المسلمين الذين يحاولون بث الأكاذيب؛ للوصول إلى غاياتهم الخفية التي يريدون نشرها، بتعلُّم النبي أو أخذه بعض تعاليم الشريعة المقدسة من رهبان النصارى، وفي ذلك بيان إلى عظمة تلك الديانة ومقامها وفضلها في الإسلام، وعدم نسخها بالشريعة الإسلامية، إلى غير ذلك من الآثار.

٢- وإما أنْ تكون صحيحة إجمالًا، وهي تظهر صدق نبوته وٱشتهارها عند علماء النصارى حيث تصريح الكتب السماوية بالنبوة الخاتمة، وصفات النبي، وما كان من دور كبير وعظيم لأبي طالب عليه السلام في حفظ النبي وٱحتضانه منذ السنة الثامنة من عمره الشريف إلى حين بعثته الشريفة في الأربعين، وقد بيَّنت نصوص السيرة ذلك، فضلًا عمَّا بذله من جهود كبيرة عند بعثته، من خلال نصرته، وتأييده، وحفظه من الأعداء، كما سيأتي بيانه.

- المورد الثالث: الرسول (صلى الله عليه [وآله] وسلم) يتزوج من خديجة بعد استشارة أعمامه.

فَلَمَّا قَالَتْ ذَلِكَ [خديجة ورغبتها بالزواج منه] لِرَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) ذكر ذَلِك لِأَعْمَامِهِ فَخَرَجَ مَعَهُ عَمُّهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رحمه الله حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ، فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ، فَتَزَوَّجَهَا(١).

إنَّ مشهور الوقائع التاريخية تؤكد أنَّ تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم من خديجة إنما تم بواسطة عمِّه أبي طالب عليه السلام الذي كان قد تكفله منذ وفاة جده عبد المطلب وتعهده تعهُّدًا تامًّا، منذ صباه إلى هذه المدة من شبابه، وخروجه معه للعمل ومعرفة التجارة، وتعرُّفه على خديجة التي كانت ذات مال كبير، وإنَّ دور أبي طالب في تزويج النبي وما قاله بحقه من كلمات عظيمة مما اشتهر بين العلماء، فقد روى اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م): ((ثُمَّ جاءَ رسولُ الله "صلى الله عليه [وآله] وسلم" في نفرٍ من أعمامِهِ تقدمَهُمْ أبو طالبٍ، فخطبَ أبو طالبٍ

---

(١) السيرة النبوية ١/٢١٥.

ولكن ورد أَنَّ خويلدًا كان إذ ذاك قد هلك، وَأَنَّ الذي أَنْكَحَ خديجة هو عمُّها عمرو بن أسد، وأنَّ عمه أبا طالب هو الذي نهض مع رسول الله (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وهو الذي خطب خطبة النكاح، فقال السهيلي (ت٥٨١هـ/١١٨٥م) تحت عنوان (من الذي زوَّج خديجة؟): ((وكان مما قاله [أبو طالب] في الخطبة: أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ مُحَمّدًا مِمَّنْ لَا يُوَازَنُ بِهِ فَتًى مِنْ قُرَيْشٍ إلَّا رَجَحَ بِهِ شَرَفًا وَنُبْلًا وَفَضْلًا وَعَقْلًا، وَإِنْ كَانَ فِيْ الْمَالِ قِلٌّ، فَإِنَّمَا الْمَالُ ظِلٌّ زَائِلٌ، وَعَارِيَةٌ مُسْتَرْجَعَةٌ، وَلَهُ فِيْ خَدِيْجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ رَغْبَةٌ، وَلَهَا فِيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ)). الروض الأنف ١/٢١٣.

وقال ابن الأثير (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م): ((وَخَرَجَ وَمَعَهُ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَبُو طَالِبٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ عُمُومَتِهِ)). الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن عبد الكريم ١/٦٤٠.

فقالَ: الحمدُ لله الذي جَعَلنا من زرعِ إبراهيمَ وذريةِ إسماعيلَ، وجعلَ لنا بيتًا محجوجًا، وحرمًا آمنًا، وجعلنا الحُكَّام على الناسِ، وباركَ لنا في بلدِنا الذي نحنُ به، ثم إنَّ ٱبنَ أخي محمدَ بن عبدِ الله لا يوزنُ برجلٍ من قريشٍ إلا رجحَ، ولا يقاسُ بأحدٍ إلا عَظُمَ عنه، وإنْ كانَ في المالِ قِلٌّ، فإنَّ المالَ رزقٌ حائلٌ، وظلٌّ زائلٌ، ولَهُ في خديجةَ رغبةً، ولها فيه رغبةٌ، وصداقُ ما سألتموهُ عاجلهُ من مالي، ولَهُ واللهِ خطبٌ عظيمٌ، ونبأٌ شائعٌ))[1].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ((لمَّا أرادَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله أنْ يتزوجَ خديجةَ بنتِ خويلدٍ، أقبلَ أبو طالبٍ في أهلِ بيتهِ ومعه نفرٌ من قريشٍ، حتى دخلَ على ورقةَ بنِ نوفلٍ عَمِّ خديجةَ، فابتدأَ أبو طالبٍ بالكلامِ فقالَ: الحمدُ لربِّ هذا البيتِ، الذي جعلنا من زرعِ إبراهيمَ، وذريةِ إسماعيلَ، وأنزلنا حرمًا آمنًا، وجعلنا الحُكَّامَ على الناسِ، وباركَ لنا في بلدِنا الذي نحن فيه، ثم إنَّ ٱبنَ أخي هذا -يعني رسول الله صلى الله عليه وآله- ممن لا يوزنُ برجلٍ من قريشٍ إلا رجحَ به، ولا يقاسُ به رجلٌ إلا عَظُمَ عنه، ولا عِدْلَ له في الخلقِ، وإنْ كانَ مُقِلًّا في المالِ فإنَّ المالَ رفدٌ جارٌ، وظلٌّ زائلٌ، ولَهُ في خديجةَ رغبةٌ، ولها فيهِ رغبةٌ، وقد جئناكَ لنخطبَها إليكَ برضَاها وأمرِها، والمهرُ عليَّ في مالي الذي سألتموهُ عاجِلُهُ وآجِلُهُ، ولَهُ ورَبِّ هذا البيتِ حَظٌّ عظيمٌ، ودينٌ شائعٌ، ورأيٌ كاملٌ، ثم سكتَ أبو طالبٍ، وتكلَّمَ عَمُّها وتلجلجَ، وقصرَ عن جوابِ أبي طالبٍ، وأدركَهُ القطعُ والبهرُ، وكان رجلًا من القسيسينَ، فقالَتْ خديجةُ مبتدئةً: يا عَمَّاهُ إنَّكَ وإنْ كُنْتَ أولى بنفسي مِنِّي في الشهودِ، فلستَ أولى بي من نفسي، قد زوجتُكَ

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٢٠.

يا محمدُ نفسي، والمهرُ عليَّ في مالي، فَأْمُرْ عَمَّك فلينحَرْ ناقَةً فليُـوْلِمْ بهـا، وٱدخُلْ على أهلِكَ. قالَ أبو طالبٍ: ٱشهدوا عليها بقبولِها محمدًا، وضـمانِها المهرَ في مالِها. فقالَ بعضُ قريشٍ: يا عجباهُ المهرُ عـلى النـساءِ للرجـالِ. فغضبَ أبو طالبٍ غضبًا شديدًا، وقامَ على قدميهِ، وكانَ مِمَّن يهابُـهُ الرجـالُ ويكرهُ غضبُهُ، فقالَ: إذا كانوا مثلَ ٱبنِ أخي هذا، طُلِبَتِ الرجالُ بأغلى الأثمانِ، وأعظمِ المهرِ، وإذا كانوا أمثالَكُمْ لم يُزَوَّجوا إلا بالمهرِ الغالي. ونحرَ أبو طالبٍ ناقَةً، ودخلَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بأهلِهِ ....))[1].

إنَّ هاتين الروايتين وغيرهما تؤكدان على أنَّ أبا طالب عليه السلام هو من كان له دور في تزويج النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وممن ذهب معه لخطبة خديجة له، وليس عمُّه الحمزة، وهذا هو الأقرب والأصح للمتتبع سيرته، فقد كان أبو طالب الـسيد المعظَّم المكرَّم في قومه، المُهاب لدى الناس، وكان ممن تعهد جميع أمـور النبي منذ وفاة جده عبد المطلب، مما لا يخفى ذلك على أحد، والحمزة كان بعمر النبي آنذاك، حيث يكبره بسنتين أو أربع.

ويمكن بيان ما يتعلق بالنص المتقدم بما يأتي:

١- بيان إيمان أبي طالب بالله تعالى، وما أُرسل من أنبياء سابقين مثل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ودورهما الكبير في بناء بيت الله تعالى، وجعل هذا البيـت مكانًا للحج، وفي ذلك معانٍ كثيرة تدل على توحيده وإيمانه، وتشرفه بذلك، وهذا ما يظهر جليًّا للمتأمل في قوله: ((الحمدُ لله الذي جَعَلنا من زرعِ إبراهيمَ وذريةِ إسماعيلَ، وجعلَ لنا بيتًا محجوجًا، وحرمًا آمنًا)).

(١) الكافي ٥/٣٧٣-٣٧٥.

٢- الفخر بانتسابه إلى مكة لتشرفها ببيت الله تعالى، وهذا الفخر ليس لكونها مكانًا لتلاقي الناس فيها عند موسم الحج، وما فيه من تجارة وأموال تصيب ساكنيها، بل لما في ذلك من شرف عظيم لخدمة البيت وحُجَّاجه، وهذا لا يكون إلا لمن عرف معنى هذه المناسك حق معرفتها، حيث يقول: ((وباركَ لنا في بلدِنا الذي نحنُ به))، وهذه البركة والعظمة هي التي أشار الله تعالى إليها بقوله: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾[1]، وقد أجمع المفسرون أنَّ المراد بالبلد هي مكة المعظمة، كما ذكر تعظيمها أبو طالب عليه السلام، فكان له الشرف العظيم بتلك الخدمة لها، ولا يكون ذلك إلا لمن كان على بينة من توحيد الله تعالى، وآثار توحيده الدالة عليه تفصيلًا أو إجمالًا، مُحِبًّا لتلك الخدمة التي يقوم بها.

٣- بيان مهم ووصف عظيم من أبي طالب عليه السلام في بيان مقام وفضل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي كلامه ما يدل على رفعته وشهرته بتلك الصفات بين الناس، أي أنَّ هذه الصفات مما لا تخفى على أحد، وهي من مميزات الاختيار والاصطفاء لزواج أو غيره، فما أبلغها وأعظمها من كلمات لم تصدر بحقه من أحد غيره، تدل على مدى تأثُّر أبي طالب بأخلاق النبي وشخصيته التي كان أبو طالب له أثر في صقلها وبيانها وإبرازها، والحفاظ عليها من كُلِّ ما يُشينها وسط مجتمع قائم على المتناقضات المختلفة في مجالاته المتعددة، ولكنَّ محمدًا الذي كانت تحيطه العناية الإلهية في كفالته كان ((لا يوزنُ برجلٍ من قريشٍ إلا رجحَ، ولا يقاسُ بأحدٍ إلا عَظُمَ عنه))، فقد فضله أبو طالب عليه السلام في وصفه -وهو صادق- وما رآه منه على كُلِّ رجال قريش سيدها ووضيعها، كبارها وصغارها، غنيِّها و فقيرها، وهذه الشهادة حية واقعية لشيخ الأباطح أبي

(١) سورة البلد: الآية ١.

طالب وهو سيد قومه من قريش، بل شهادة لا حَدَّ لها في بيان فضل ومقام النبي صلى الله عليه وآله وسلم على كُلِّ الناس من قريش وغيرها، فكُلُّ أحد لا يدانيه في فضله ومقامه بلا خلاف.

٤- إنَّ المتأمل في تلك الشهادة العظيمة لأبي طالب عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ((ثم إنَّ ٱبنَ أخي محمد بن عبد الله لا يوزنُ برجلٍ من قريشٍ إلا رجحَ، ولا يقاسُ بأحدٍ إلا عَظُمَ عنه)) تدعو الباحثين في علم التربية إلى بيان أثر البيئة التي عاش فيها على بناء تلك الشخصية، وبذلك فأي مقام عظيم ومنزلة لأبي طالب في الأمة لدوره الكبير في بناء تلك الشخصية لخاتم الأنبياء والمرسلين؟!

أو الإعانة على تهيئة تلك البيئة لبناء تلك الشخصية؟!

أو تهيئة البيئة الملائمة لإبراز مقامات تلك الشخصية؟!

فالتاريخ يذكر ما كان يبذله أبو طالب، وما كان يهيِّئه في سبيل تربية النبي وتعليمه ما يحتاجه والحفاظ عليه أكثر من أبنائه ونفسه، وفي كُلِّ ذلك دلالة جلية على عظمة العناية الإلهية في كفالة أبي طالب للنبي صغيرًا أو كبيرًا، قبل بعثته أو بعدها، فهذه الكفالة التي أوجدت للأمة هذه الشخصية بتلك الفضائل التي كانت عليها لصورة واضحة في أنَّ الله تعالى قد أراد لنبيه محمد أنْ يكون أبو طالب هو كفيله لا أحد غيره مطلقًا.

- المورد الرابع: مساندة أبي طالب عليه السلام لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحدي قومه[١].

١- عداوة قومه ومساندة أبي طالب له.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا بَادَى رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) قَوْمَهُ بِالْإِسْلَامِ وَصَدَعَ بِهْ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ لَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَوْمُهُ وَلَمْ يَرُدُّوْا عَلَيْهِ -فِيْمَا بَلَغَنِيْ- حَتَّى ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وَعَابَهَا، فَلَمَّا فَعَلَ ذَلِكَ أَعْظَمُوْهُ وَنَاكَرُوْهُ، وَأَجْمَعُوْا خِلَافَهُ وَعَدَاوَتَهُ إِلَّا مَنْ عَصَمَ الله تَعَالَى مِنْهُمْ بِالْإِسْلَامِ وَهُمْ قَلِيْلٌ مُسْتَخْفُوْنَ.

وَحَدِبَ عَلَى رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) عَمُّهُ أَبُوْ طَالِبٍ وَمَنَعَهُ وَقَامَ دُوْنَهُ، وَمَضَى رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) عَلَى أَمْرِ الله مُظْهِرًا لِأَمْرِهِ لَا يَرُدُّهُ عَنْهُ شَيْءٌ.

فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنَّ رَسُوْلَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) لَا يَعْتِبُهُمْ مِنْ شَيْءٍ أَنْكَرُوْهُ عَلَيْهِ مِنْ فِرَاقِهِمْ وَعَيْبِ آلِهَتِهِمْ، وَرَأَوْا أَنَّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ قَدْ حَدِبَ عَلَيْهِ وَقَامَ دُوْنَهُ فَلَمْ يُسْلِمْهُ لَهُمْ، مَشَى رِجَالٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ إِلَى أَبِيْ طَالِبٍ عُتْبَةُ وَشَيْبَةُ ٱبْنَا رَبِيْعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ[٢].

إنَّ هذا النص فيه دلالات واضحة جلية في بيان موقف أبي طالب من النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته كنبيٍّ من الله تعالى مبعوث إلى قومه، وليس موقفه

---

(١) في هذا المورد المتعلق بدعوة كبار قريش أبا طالب عليه السلام بالتخلي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عنوانات خمسة في السيرة النبوية لها علاقة بموضوع واحد سيتم جمعها في هذا المورد، وبيان ما يتعلق بكل عنوان.

(٢) السيرة النبوية ١/٢٩٦-٢٩٧.

لأنه ٱبن أخيه وقد تعهد بكفالته، فالنبي الآن هو فوق سن الأربعين ولا يحتاج كفالة كما كان صغيرًا من قبل أيام يتمه آنذاك، ويمكن بيان ما يأتي من قراءة للنص:

١- إنَّ فيه دلالة على حرصه وخوفه على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم النبي المبعوث برسالته إلى قومه، النابع من محبته له، والدفاع عنه بكل ما أُوتي من قوة مادية ومعنوية، وهو ما يمكن قراءته من قوله (وَحَدِبَ عَلَى رَسُوْلِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) عَمَّهُ أَبُوْ طَالِبٍ، وَمَنَعَهُ، وَقَامَ دُوْنَهُ)، فلو كان أبو طالب غير مؤمن بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لكانت الفرصة جيدة له للتخلي عنه؛ حيث قوة المعارضة من كبار قومه، فلنتأمل فيما ورد في النص (حَدِبَ)، قال الفراهيدي (ت١٧٠هـ/٧٨٦م): ((مَوْضِعُ الْحَدَبِ مِنْ ظَهْرِ الْأَحْدَبِ، وَالْاسْمُ: الْحَدَبَةُ. وَحَدِبَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ حَدَبًا أَيْ عَطَفَ عَلَيْهِ وَحَنَا، وَإِنَّهُ كَالوَالِدِ))[1]، وقال ٱبن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م): ((وَحَدِبَ فُلَانٌ عَلَى فُلَانٍ يَحْدَبُ حَدَبًا فَهُوَ حَدِبٌ، وَتَحَدَّبَ تَعَطَّفَ وَحَنَا عَلَيْهِ. يُقَالَ: هُوَ لَهُ كَالْوَالِدِ الْحَدِبِ .... وَالْمُتَحَدِّبُ الْمُتَعَلِّقُ بِالشَّيْءِ الْمُلَازِمُ لَهُ))[2].

وأما قوله (ومنعه، وقام دونه) ففيه بيان لموقفه في الدفاع عنه مما لا يمكن أنْ يخفى على كل متأمل في ألفاظ هذا النص، بل فيه بيان أنَّ القوم كانوا يريدون بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم سوءًا كبيرًا ظاهرًا في ٱجتماعهم، ولكن قد باء ذلك بالفشل بوجود أبي طالب عليه السلام ونصرته للنبي، وهذا ما يمكن قراءته في قوله: (وَرَأَوْا

(١) العين، الخليل بن أحمد، مادة (حدب).

(٢) لسان العرب مادة (حدب).

أَنَّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ قَدْ حَدِبَ عَلَيْهِ وَقَامَ دُوْنَهُ فَلَمْ يُسْلِمْهُ لَهُمْ، مَشَى رِجَالٌ مِنْ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ ....).

٢- في النص بيان صريح أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يمكن له أنْ يقوم بأداء رسالته ودعوة الناس إلى الإسلام بيسر لولا وجود ناصر له ولرسالته، مؤمن بها، وهو عمُّه أبو طالب عليه السلام، وهذا ما جعله مطمئنًا في الدعوة ومقابلة المشركين بشجاعة ويقين، فالله تعالى قد هيَّأ له ناصرًا وسندًا عظيمًا، وذا يقين بما جاء به من دين عظيم من الله عز وجل، غير معاند أو شاكٍّ في تلك الدعوة، وهذا ما يمكن أنْ يتجلى في النص (وَمَضَى رَسُوْلُ الله "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ" عَلَى أَمْرِ الله مُظْهِرًا لِأَمْرِهِ، لَا يَرُدُّهُ عَنْهُ شَيْءٌ)، فهذا المضي لإظهار أمر الإسلام في مكة أمام رؤوس الشرك والكفر لم يكن لولا وجود الناصر له، وهذا التفاني في نشر الإسلام وعدم التواني والالتفات إلى تلك المعارضة الشديدة من المشركين لم تكن لولا الاطمئنان بنصرة أبي طالب عليه السلام له وتشجيعه على الأمر، فهذا الإظهار للأمر وعدم الخضوع للمعارضة كان بسبب عطف أبي طالب عليه السلام عليه، وتفانيه في الدفاع عنه.

٢- وفد قريش يعاتب أبا طالب.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: أَوْ مَنْ مَشَى مِنْهُمْ . فَقَالُوْا : يَا أَبَا طَالِبٍ إِنَّ ٱبْنَ أَخِيْك قَدْ سَبَّ آلِهَتَنَا ، وَعَابَ دِيْنَنَا ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا ، وَضَلَّلَ آبَاءَنَا، فَإِمَّا أَنْ تَكُفَّهُ عَنَّا، وَإِمَّا أَنْ تُخِلِّيْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فَإِنَّك عَلَى مِثْلِ مَا نَحْنُ عَلَيْهِ مِنْ خِلَافِهِ فَنَكْفِيْكَهُ.

فَقَالَ لَهُمْ أَبُوْ طَالِبٍ قَوْلًا رَفِيقًا، وَرَدَّهُمْ رَدًّا جَمِيْلًا، فَانْصَرَفُوْا عَنْهُ[1].

(١) السيرة النبوية ١/٢٩٨.

إنَّ في النص ما لا يخفى على الباحث في التاريخ من موقف مهم لأبي طالب عليه السلام في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعدم السماح لأحد من الوصول إليه، وإنَّ هذه المواقف المتعددة والمختلفة التي تقدمت وما ستأتي تؤكد عقيدة أبي طالب تجاه النبي، فالأمر متعلق بالعقيدة وليست العاطفة، وهذا مهم جدًّا، فعلى الباحث المنصف أنْ ينظر ويتأمل في النص الذي يعكس الواقع من حيث العقيدة أو العاطفة، ولا أظن هناك من يرى أنَّ العاطفة قد تجاوزت هذه الحدود عند أبي طالب في التحدي لمشركي قريش، والمقرَّبين منه، وتحمل كُلَّ تلك المواقف والمحن الشديدة، والنفي في الشِّعب بسبب حبِّه لمحمد ابن أخيه، بل لأجل عقيدته الصادقة بمحمد النبي المبعوث من قبل الله تعالى خاتمًا للنبيين.

٣- الرسول (صلى الله عليه [وآله] وسلم) يستمر في دعوته.

وَمَضَى رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ يُظْهِرُ دِيْنَ الله وَيَدْعُوْ إِلَيْهِ ثُمّ شَرَى[1] الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ حَتّى تَبَاعَدَ الرِّجَالُ وَتَضَاغَنُوا، وَأَكْثَرَتْ قُرَيْشٌ ذِكْرَ رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) بَيْنَهَا، فَتَذَامَرُوْا فِيْهِ وَحَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ[2].

إنَّ هذا النص فيه من التأييد والنصرة من قبل أبي طالب عليه السلام للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ما لا يمكن أنْ يخفى على الباحثين، فالقوة المساندة للنبي إنما كانت بوجود أبي طالب، وتشجيعه، وتقويته على الأمر، وهذا ما يمكن قراءته في النص من

(١) شرى: عَظُمَ واشتد الغضب. العين مادة (شري)، معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس، مادة (شري).

(٢) السيرة النبوية ١/٢٩٨.

ظهور ذلك التأييد، فالنبي ﷺ بدأ مرحلته الجديدة في الدعوة إلى الإسلام ومواجهة المشركين، فلنتأمل صور تلك الدعوة حيث أصبح النبي (يُظْهِرُ دِيْنَ الله) بعد أنْ كان لا يستطيع الدعوة إليه سرًّا، ثم غَدَا (وَيَدْعُوْ إِلَيْهِ) من خلال نشر الوحي بين المقربين وغيرهم، بل (شَرَى الْأَمْرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ) فاشتدَّ، فهل يمكن للنبي ﷺ أنْ يقابل جبروت وقوة أولئك المشركين إنْ لم يكن لديه من القوة التي يرجع إليها عند الشدة، والتي كانت تكمن في عمِّه شيخ البطحاء، والتي لا يمكن لأحد أنْ ينكرها أبدًا، وٱستمر النصر الإلهي للنبي ﷺ حتى ذاع ٱسم محمد ودعوته على ألسن الناس في المجالس والأندية والبيوت (وَأَكْثَرَتْ قُرَيْشٌ ذِكْرَ رَسُوْلِ الله)، وفي كل ذلك هل يمكن أنْ يُنسى أبو طالب حتى وصل الأمر بحقدهم على النبي أنْ يتوحَّدوا تجاه هدف واحد وهو الفتك برسول الله (فَتَذَامَرُوْا فِيْهِ وَحَضَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَيْهِ)، ولكن هل ٱستطاع أحد منهم أنْ يصل إلى النبي والنيل منه بعد أنْ أقسم له عمُّه أبو طالب بنصرته ما دام حيًّا كما تقدم.

٤- رجوع الوفد إلى أبي طالب مرة ثانية.

ثُمَّ إِنَّهُمْ مَشَوْا إِلَى أَبِيْ طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى، فَقَالُوْا لَهُ: يَا أَبَا طَالِبٍ إِنَّ لَكَ سِنًّا وَشَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِيْنَا، وَإِنَّا قَدِ ٱسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ٱبْنِ أَخِيْكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا، وَإِنَّا وَالله لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيْهِ أَحْلَامِنَا، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتَّى تَكُفَّهُ عَنَّا، أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِيْ ذَلِكَ حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيْقَيْنِ -أَوْ كَمَا قَالُوْا لَهُ- ثُمَّ ٱنْصَرَفُوْا عَنْهُ.

فَعَظُمَ عَلَى أَبِيْ طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ، وَلَمْ يَطِبْ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُوْلِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) لَهُمْ، وَلَا خِذْلَانِهِ[1].

إنَّ في النص إشارات متعددة أحاول بيانها بإيجاز كالآتي:

١- إنَّ تكرار إتيان مشركي قريش إلى أبي طالب عليه السلام ودعوته في الوقوف معهم ضد دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها إشارة جلية بمواقف أبي طالب وإصراره في الوقوف بجنب النبي، وعدم الضعف تجاه أولئك الأعداء.

٢- إنَّ مجيئهم المتكرر لأبي طالب عليه السلام فيه دلالة على شدة ملازمته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، على الرغم مما بلغه من العمر، وعلى بيان مدى ملازمة النبي لعمِّه أبي طالب، وما في ذلك من دلالة واضحة على أنَّ النبي قد رأى فيه ركنًا وثيقًا في دعوته للإسلام.

٣- إنَّ في كلام المشركين ٱعتراف صريح أنَّ أبا طالب على درجة كبيرة من التبجيل والاحترام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والإذعان لدعوته المباركة التي يدعو إليها، على رغم ما كان يلاقيه من الأذى، وهذا ما نراه في قولهم له: (وَإِنَّا قَدِ ٱسْتَنْهَيْنَاكَ مِنْ ٱبْنِ أَخِيْكَ فَلَمْ تَنْهَهُ عَنَّا)، فلم نقرأ نصًّا واحدًا قد صدر من أبي طالب تجاه النبي يدعوه لترك دعوته والإعراض عنها، فضلًا عن نهيه، بل أقصى ما يكون هو نقل كلام المشركين إليه بترك الدعوة.

٤- إنَّ المشركين يعترفون في هذا اللقاء بأنَّ أبا طالب عليه السلام هو الذي يمنعهم من الوصول إليه، والنيل منه، وإنهم يخافون ذلك مع وجود أبي طالب معه؛ لذلك كانوا يحاولون الضغط عليه بوسائل متعددة، ومنها تحميله مسؤولية

(١) السيرة النبوية ١/٢٩٨-٢٩٩.

الاستهانة بآلهتهم (وَإِنَّا وَاللهِ لَا نَصْبِرُ عَلَى هَذَا مِنْ شَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيْهِ أَحْلَامِنَا، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا، حَتَّى تَكُفَّهُ عَنَّا)، وهذا يعني أنَّ أبا طالب مشارك له في دعوته لتوحيد الله تعالى ونبذ عبادة تلك الأصنام من خلال عدم إيقاف دعوة النبي لذلك، وأنَّ أبا طالب هو الوحيد الذي له القدرة على منع النبي من نشر الدعوة الإسلامية، وعدم قيامه بمنعه فيه دلالة جلية بتأييده.

٥- إنَّ في النص بيانًا لمواقف أبي طالب عليه السلام العظيمة في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه شريكه في هذه الدعوة إلى الإسلام وتحطيم آلهة الشرك وأتباعهم من سادات قريش، ولولاه لما كان للنبي هذا المقام وهذه القوة والمنعة، والجرأة في الدعوة، فوصل الأمر بهم أنْ يجعلوا اليوم أبا طالب عدوًّا لهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بسبب نصرته والوقوف معه، وخذلان المشركين، فلنتأمل في تهديدهم إياه وما يدل على بيان موقفه (أَوْ نُنَازِلَهُ وَإِيَّاكَ فِيْ ذَلِكَ حَتَّى يَهْلِكَ أَحَدُ الْفَرِيْقَيْنِ).

٦- إنَّ هذا النص الذي يحذِّر المشركون فيه أبا طالب عليه السلام بقتاله وقتله فيه تأكيد على ما جرى عليهم من الانكسار والانهزام؛ بسبب مواقف أبي طالب ونصرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى عُدَّ أبو طالب عدوًّا آخر لهم، يريدون قتله لينالوا بعد ذلك من النبي، أو قتلهما معًا لمواقفهما تجاههم.

٧- إنَّ في النص بيان مدى الأذى الذي تحمَّله أبو طالب عليه السلام في سبيل الإسلام ونشره، والحفاظ على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فغدَا يتوعده القوم ويهددونه بالقتل إنْ لم يتبرأ من النبي بتسليمهم إياه، أو خذلانه وعدم نصرته ليتولى أبو

سفيان وأقرانه قتل النبي، والقضاء على الإسلام في مهده، وتبقى راية الكفر والشرك عالية في مكة، وعلى أركان بيت الله.

٨- لماذا يتحمل أبو طالب عليه السلام كل هذا الوعيد والتهديد من مشركي قريش إنْ لم يكن مؤمنًا بالله تعالى، وما دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وانَّ محمدًا مبعوث من قبل الله ويجب عليه الوقوف معه ونصرته، وخصوصًا على ما هو عليه من المقام العظيم والمنزلة الرفيعة في قومه، فضلًا عن عمره؟!

٩- إنَّ في النص دلالة على مدى إيمان أبي طالب عليه السلام بما يقوم به من نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وآطمئنانه بما جاء به من الله عز وجل، وعدم الشك والتردد في ذلك، بل الدفاع عنه مهما كانت عاقبة الأمر، فلم يَخَفْ ذلك التهديد، وتلك المواقف لأعداء الله، وذلك العدد الذي هم كانوا عليه، بل كان صابرًا في الله، مجاهدًا في الحفاظ على رسول الله، فلنتأمل بخاتمة النص (وَلَمْ يَطِبْ نَفْسًا بِإِسْلَامِ رَسُوْلِ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) لَهُمْ، وَلَا خِذْلَانِهِ)، فأي عقيدة راسخة كان عليها أبو طالب!!

١٠- إنَّ هذه القراءات التأملية للنص التي تُبرز مواقف أبي طالب عليه السلام بالوقوف مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته لا يمكنها أنْ تطمئن لما ورد في النص تجاه أبي طالب من القول: (فَعَظُمَ عَلَى أَبِيْ طَالِبٍ فِرَاقُ قَوْمِهِ وَعَدَاوَتُهُمْ)، فلماذا يَعْظُم عليه فراق قومه من المشركين وهم أعداء لله ورسوله؟!

ولماذا يَعْظُم عليه عداوتهم؟!

إلا إذا أمكننا تفسير ذلك من جانب آخر أنَّ أبا طالب كان يرجو لقومه أنْ يكونوا أول الذين يؤمنون بالإسلام ونصرة رسول الله في دعوته، وهذا الرجاء

صادر منه لمقامه العظيم في جمع قومه لهذا الشرف العظيم بالإسلام، ولكنه لم يتمكن من ذلك لعنادهم ومعاداتهم لرسول الله، وإلا فهو غير نادم على مواقفه في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم مطلقًا.

٥- ما دار بين الرسول (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وأبي طالب.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِيْ يَعْقُوْبُ بْنُ عُتْبَةَ بْنُ الْمُغِيْرَةِ بْنُ الْأَخْنَسِ أَنَّهُ حُدِّثَ أَنَّ قُرَيْشًا حِيْنَ قَالُوْا لِأَبِيْ طَالِبٍ هَذِهِ الْمَقَالَةَ بَعَثَ إِلَى رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) فَقَالَ لَهُ: يَابْنْ أَخِي إِنْ قَوْمَكَ قَدْ جاءُوْنِي ، فَقَالُوْا لِيْ كَذَا وَكَذَا، لِلَّذِيْ كَانُوْا قَالُوْا لَهُ فَأَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُحَمِّلْنِيْ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيْقُ.

قَالَ: فَظَنَّ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) أَنَّهُ قَدْ بَدَا لِعَمِّهِ فِيْهِ بَدَاءٌ، أَنَّهُ خَاذِلُهُ وَمُسْلِمُهُ، وَأَنَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نُصْرَتِهِ، وَالْقِيَامِ مَعَهُ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى الله عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ): يَا عَمِّ، وَالله لَوْ وَضَعُوْا الشَّمْسَ فِيْ يَمِينِيْ، وَالْقَمَرَ فِيْ يَسَارِيْ عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يُظْهِرَهُ اللهُ، أَوْ أَهْلِكَ فِيهِ، مَا تَرَكْتُهُ.

قَالَ: ثُمَّ ٱسْتَعْبَرَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) فَبَكَى ثُمَّ قَامَ.

فَلَمَّا وَلَّى، نَادَاهُ أَبُوْ طَالِبٍ فَقَالَ: أَقْبِلْ يَا ٱبْنَ أَخِيْ.

قَالَ: فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ).

فَقَالَ: ٱذْهَبْ يَا ٱبْنَ أَخِيْ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَالله لَا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا[1].

إنَّ النص ظاهر في عدم قناعة أبي طالب عليه السلام بنهي النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الدعوة إلى الإسلام، وإنما كان يَعرضُ عليه ما يقوم به المشركون من

(١) السيرة النبوية ١/٢٩٩.

محاولات بائسة متعددة لإبعاد أبي طالب وتخلِّيه عن النبي، وما صدر من كلام أبي طالب ليس فيه ما يدعو إلى القول بمخالفته للنبي، أو الشك في دعوته، بل فيه بيان أنَّ أبا طالب كان يوضِّح للنبي حجم العداء والمؤامرة التي يقوم بها أعداؤه تجاهه، وقوله في ختام النص دليل على إيمانه بهذه الدعوة الإلهية فلنتأمل في قوله: (ٱذْهَبْ يَا ٱبْنَ أَخِيْ، فَقُلْ مَا أَحْبَبْتَ فَوَالله لَا أُسْلِمُكَ لِشَيْءٍ أَبَدًا).

وأما ما ورد في النص من الإيحاء إلى أنَّ أبا طالب كان يخاف على نفسه كما في قوله: (فَأَبْقِ عَلَيَّ وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تُحَمِّلْنِيْ مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيْقُ)، ويرجو من النبي أنْ يترك دعوته، فهذا مما يخالفه نصوص كثيرة متعددة تقدم بعضها وسيأتي غيرها تؤكد صراحة على مدى تمسك وإيمان أبي طالب عليه السلام بما يقوم به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وٱستعداده للتضحية بنفسه من أجله، فلم يخشَ أبو طالب أو يخاف أحدًا، بل هم يخشونه ويخافونه ويهابونه؛ لمعرفتهم التامة به، ومدى ٱهتمامه بالنبي قبل البعثة وبعدها.

٦- قصة أبي سلمة رضي الله عنه في جواره [أبي طالب عليه السلام].

(ضجر المشركين بأبي طالب لإجارته، ودفاع أبي لهب، وشعر أبي طالب في ذلك):

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: وَأَمَّا أَبُوْ سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الْأَسَدِ[1]، فَحَدَّثَنِيْ أَبِيْ إِسْحَاقُ بْنُ يَسَارٍ عَنْ سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ أَبِيْ سَلَمَةَ أَنَّهُ حَدَّثَهُ: أَنَّ أَبَا سَلَمَةَ لَمَّا ٱسْتَجَارَ

(١) أبو سلمة بن عبد الأسد بن هلال المخزومي، أحد السابقين الأولين إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، شهد بدرًا. مات عام ٣هـ. سير أعلام النبلاء ١/١٥٠

بِأَبِيْ طَالِبٍ، مَشَى إِلَيْهِ رِجَالٌ مِنْ بَنِيْ مَخْزُوْمٍ، فَقَالُوْا (لَهُ): يَا أَبَا طَالِبٍ، لَقَدْ مَنَعْتَ مِنَّا ٱبْنَ أَخِيْكَ مُحَمَّدًا، فَمَا لَكَ وَلِصَاحِبِنَا تَمْنَعُهُ مِنَّا؟

قَالَ: إِنَّهُ ٱسْتَجَارَ بِي، وَهُوَ ٱبْنُ أُخْتِيْ، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَمْنَعْ ٱبْنَ أُخْتِيْ لَمْ أَمْنَعْ ٱبْنَ أَخِيْ.

فَقَامَ أَبُوْ لَهَبٍ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، وَاللهِ لَقَدْ أَكْثَرْتُمْ عَلَى هٰذَا الشَّيْخِ ، مَا تَزَالُوْنَ تَوَثَّبُوْنَ عَلَيْهِ فِيْ جِوَارِهِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِ، وَاللَّهِ لَتَنْتَهُنَّ عَنْهُ أَوْ لَنَقُوْمَنَّ مَعَهُ فِيْ كُلِّ مَا قَامَ فِيْهِ، حَتَّى يَبْلُغَ مَا أَرَادَ.

قَالَ: فَقَالُوْا: بَلْ نَنْصَرِفُ عَمَّا تَكْرَهُ يَا أَبَا عُتْبَةَ، وَكَانَ لَهُمْ وَلِيًّا وَنَاصِرًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ)، فَأَبْقَوْا عَلَى ذَلِكَ.

فَطَمِعَ فِيْهِ أَبُوْ طَالِبٍ حَيْنَ سَمِعَهُ يَقُوْلُ مَا يَقُوْلُ، وَرَجَا أَنْ يَقُوْمَ مَعَهُ فِيْ شَأْنِ رَسُوْلِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ).

فَقَالَ أَبُوْ طَالِبٍ يُحَرِّضُ أَبَا لَهَبٍ عَلَى نُصْرَتِهِ وَنُصْرَةِ رَسُوْلِ اللَّهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ)[1]:

وَإِنَّ ٱمْرَأً أَبُو عُتَيْبَةَ عَمُّهُ ... لَفِي رَوْضَةٍ مَا إِنْ يُسَامُ الْمَظَالِمَا

أَقُولُ لَهُ، وَأَيْنَ مِنْهُ نَصِيْحَتِي ... أَبَا مُعْتِبٍ ثَبِّتْ سَوَادَكَ قَائِمَا

وَلَا تَقْبَلَنَّ الدَّهْرَ مَا عِشْتَ خِطَّةً ... تُسَبُّ بِهَا إِمَّا هَبَطْتَ الْمَوَاسِمَا

وَوَلِّ سَبِيلَ الْعَجْزِ غَيْرَكَ مِنْهُمُ ... فَإِنَّكَ لَمْ تُخْلَقْ عَلَى الْعَجْزِ لَازِمَا

وَحَارِبْ فَإِنَّ الْحَرْبَ نُصْفٌ وَلَنْ تَرَى ... أَخَا الْحَرْبِ يُعْطَى الْخَسْفَ حَتَّى يُسَالَمَا

(١) السيرة النبوية ١/٣٧١-٣٧٢.

وَكَيْفَ وَلَمْ يَجْنُوْا عَلَيْكَ عَظِيْمَةً وَلَمْ يَخْذُلُوْكَ غَانِمًا أَوْ مُغَارِمَا
جَزَى اللَّهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا وَتَيْمًا وَمَخْزُوْمًا عُقُوْقًا وَمَأْثَمَا
بِتَفْرِيْقِهِمْ مِنْ بَعْدِ وُدٍّ وَأُلْفَةٍ جَمَاعَتَنَا كَيْمَا يَنَالُوْا الْمَحَارِمَا
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللَّهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا تَرَوْا يَوْمًا لَدَى الشِّعْبِ قَائِمَا

إنَّ هذا النص يؤكد مدى تفاني أبي طالب عليه السلام في آغتنام كُلِّ فرصة من أجل نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والدعوة إليه من جانب، ومقامه عند القوم وشدة بأسه وفضله من جانب ثانٍ، ومدى عظمة دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتأثيرها على المشركين وغيرهم من جانب ثالث، وهذه الأبيات تبيِّن إبداع أبي طالب عليه السلام في بيان واقع الدعوة الإسلامية وأهمية نصرتها، والوقوف مع النبي في ذلك، وأنَّ هذا هو أعظم شرف يناله الإنسان في موقفه هذا، وكذلك مدى عداء المشركين للنبي وأهل بيته وخصوصًا لأبي طالب، وفي ذلك بيان يؤكد وحدة منهج أبي طالب عليه السلام تجاه دعوة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وثباته عليها، بل التضحية من أجلها، وهذه النص موافق لتلك النصوص المختلفة الصادرة عنه تجاه القوم في نصرة الإسلام، ودعوتهم إليهم، وإقامة الحجة عليهم.

- المورد الخامس: قريش تحاور أبا طالب[١].

١- قريش تعرض عمارة بن الوليد على أبي طالب.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا حَيْن عَرَفُوْا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خِذْلَانَ رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) وَإِسْلَامَهُ، وَإِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِيْ ذَلِكَ وَعَدَاوَتِهِمْ، مَشَوْا إِلَيْهِ بِعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيْدِ بْنِ الْمُغِيْرَةِ[٢]، فَقَالُوْا لَهُ -فِيْمَا بَلَغَنِيْ- يَا أَبَا طَالِبٍ هَذَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيْدِ أَنْهَدُ[٣] فَتًى فِيْ قُرَيْشٍ وَأَجْمَلُهُ فَخُذْهُ، فَلَكَ عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ، وَٱتَّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ، وَأَسْلِمْ إِلَيْنَا ٱبْنَ أَخِيْكَ هَذَا الَّذِيْ قَدْ خَالَفَ دِيْنَك وَدِيْنَ آبَائِكَ، وَفَرَّقَ جَمَاعَةَ قَوْمِكَ، وَسَفَّهَ أَحْلَامَهُمْ فَنَقْتُلَهُ، فَإِنَّمَا هُوَ رَجُلٌ بِرَجُلٍ.

فَقَالَ: وَالله لَبِئْسَ مَا تَسُوْمُوْنَنِيْ، أَتُعْطُوْنَنِيْ ٱبْنَكُمْ أَغْذُوْهُ لَكُمْ، وَأُعْطِيْكُمْ ٱبْنِي تَقْتُلُوْنَهُ، هَذَا وَالله مَا لَا يَكُوْنُ أَبَدًا.

قَالَ: فَقَالَ الْمُطْعِمُ بْنُ عَدِيِّ بْنُ نَوْفَلِ بْنُ عَبْدِ مَنَافِ بْنُ قُصَيٍّ: وَالله يَا أَبَا طَالِبٍ لَقَدْ أَنْصَفَكَ قَوْمُكَ، وَجَهَدُوْا عَلَى التَّخَلُّصِ مِمَّا تَكْرَهُهُ، فَمَا أَرَاك تُرِيْدُ أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُمْ شَيْئًا.

---

(١) في هذا المورد موضوعان سيتم بيانهما.

(٢) عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي، أخو خالد بن الوليد، وكان ممن خرج مع عمرو بن العاص إلى النجاشي في الحبشة، وٱستهوى جارية لعمرو بن العاص، فغضب عليه ٱبن العاص وسَعَا عند النجاشي لأنه ٱستهوى زوجته كذلك، فأمر النجاشي فيه أمره. ينظر: الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٤٨٣/٦.

(٣) أنهد: أنهض. العين مادة (نهد).

فَقَالَ أَبُوْ طَالِبٍ لِلْمُطْعِمِ: وَاللهِ مَا أَنْصَفُوْنِي، وَلَكِنَّكَ قَدْ أَجْمَعْتَ خِذْلَانِيْ، وَمُظَاهَرَةَ الْقَوْمِ عَلَيَّ، فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَك. أَوْ كَمَا قَالَ: فَحَقَبَ الْأَمْرُ[1]، وَحَمِيَتِ الْحَرْبُ، وَتَنَابَذَ الْقَوْمُ، وَبَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا[2].

إنَّ في هذا النص موضوعات متعددة يمكن للباحث الوقوف عليها وبيان أبعادها، ومنها:

١- في النص دلالة على سخافة آراء المشركين، وعجزهم في مواجهة أبي طالب عليه السلام بالقوة لشدته وبأسه، فلجؤوا إلى محاولات التفاوض معه من أجل التخلي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهي المعاوضة بين أحد أبنائهم بمحمد، وفي ذلك تمام اليأس الذي أصابهم (يَا أَبَا طَالِبٍ هَذَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيْدِ أَنْهَدُ فَتًى فِيْ قُرَيْشٍ وَأَجْمَلُهُ فَخُذْهُ، فَلَك عَقْلُهُ وَنَصْرُهُ، وَاتَّخِذْهُ وَلَدًا فَهُوَ لَكَ، وَأَسْلِمْ إلَيْنَا ابْنَ أَخِيْكَ)، وهذا العرض مما لا يخفى عدم إمكانية قبوله من أي إنسان، فكيف إذا كان ذلك أبو طالب، الذائع صيته في الآفاق بالبر والكرامة والدفاع عن النبي.

٢- إنَّ فيه دلالة واعترافًا من سادة المشركين بمقام أبي طالب عليه السلام في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، والتفاني في نصرته، وانتشار ذلك بين الناس، فلم يكن خافيًا على أحد (ثُمَّ إنَّ قُرَيْشًا حَيْن عَرَفُوْا أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ أَبَى خِذْلَانَ رَسُوْلِ الله "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ")، ولنتأمل في قوله (قد أبى) الوارد في النص، فالإباء (شِدَّةُ الامْتِنَاعِ، فَكُلُّ إبَاءٍ امْتِنَاعٌ، وَلَيْسَ كُلُّ امْتِنَاعٍ إبَاءٌ. قَوْلُهُ تَعَالَى:

(١) حقب: فسد واحتبس. لسان العرب مادة (حقب)

(٢) السيرة النبوية ١/٢٩٩-٣٠٠.

﴿وَيَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى﴾، وَمِنْهُ رَجُلٌ أَبِيٌّ مُمْتَنِعٌ مِنْ تَحَمُّلِ الضَّيْمِ))[1]، فإباء أبي طالب دليل على قوة إيمانه وعزيمته وعقيدته.

٣- إنَّ أبا طالب عليه السلام قد تحدى القوم في نصرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وقد بلغ ذلك مقامًا عظيمًا، وهذا ما يمكن قراءته بما ورد في قولهم (أَبَى خِذْلَانَ رَسُوْلِ اللهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ" وَإِسْلَامَهُ، وَإِجْمَاعَهُ لِفِرَاقِهِمْ فِيْ ذَلِكَ وَعَدَاوَتِهِمْ)، فالنص يظهر لنا أمورًا أربعة قد آتخذها أبو طالب في موقفه ضدهم بنصرته للنبي:

أ- شدة آمتناعه في خذلان النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومخالفته دعوته (أبى خذلانه).

ب- شدة آمتناعه في تسليم النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى المشركين من خلال مطالباتهم المتعددة في ذلك (أبى خذلانه .... وإسلامه).

ت- وقوفه بجانب النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتركه لقومه على رغم مقامه فيهم، وهجرانه إياهم وما في ذلك من إهانة لهم، بل إصراره على هذا الموقف وآشتهاره (وإجماعه لفراقهم).

ث- آتخاذ أبي طالب عليه السلام موقفًا صارمًا تجاه المشركين في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، حتى عُدَّ من أعدائهم، بل من الجبهة التي تنتمي إلى رسول الله في معاداة عقيدة الشرك (وإجماعه لفراقهم .... وعداوتهم).

إنَّ هذا النص يظهر للباحث مدى تأثر أبي طالب عليه السلام بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته، وتأثيره في المجتمع، وتفانيه في سبيل عقيدته التي آثر عليها قومه ومقامه، وهذا لا يمكن أنْ يصدر من الإنسان عامة، وممن له مقام رفيع في قومه

(١) المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني ص٥٨.

خاصة، وممن هو على درجة من الحكمة بالأخص، إلا من أجل أمر عظيم جدًّا قد آمن به، وهو على ٱستعداد للتضحية في سبيله، وهل يوجد أعظم من العقيدة التي آمن بها أبو طالب، التي يصدح بها بقوله: (وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِيْنَ مُحَمَّدٍ – مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِيْنًا)[1].

٤- في النص دلالة على حكمة أبي طالب عليه السلام في محاججة المشركين في دفاعه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعدم إظهار إيمانه لهم علانية، وخفاء ذلك عليهم؛ إذ يتصورون أنَّ أبا طالب على دينهم ودين آبائهم (هَذَا الَّذِيْ قَدْ خَالَفَ دِيْنَكَ وَدِيْنَ آبَائِكَ)، وكأنَّهم قد خفيت عنهم دلالة تلك المواقف العظيمة، وتلك التصريحات الظاهرة، وفي ذلك كمال عناية أبي طالب بالمحافظة على سرية الدعوة الإسلامية التي كانت عليها في ٱنطلاقتها الأولى.

---

(١) أسنى المطالب في نجاة أبي طالب ص٧.

وقد ورد عن أبي طالب عليه السلام من الشعر في ذكره للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم في موارد أخرى ذكرها الأعلام في مؤلفاته، فقد روى ٱبن عساكر عبد الرحيم الأشجعي أنبأنا سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان قال تذاكروا ما قيل من الشعر قال: فقال: رجل ما سمعنا شيئًا أحسن من بيت أبي طالب:

وَشَقَّ لَهُ مِنِ ٱسْمِهِ لِيَجُلَّهُ فَذُوْ الْعَرْشِ مُحْمُوْدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

تاريخ دمشق، علي بن الحسن بن هبة الله ٣٢/٣. وينظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١٩٧/٧.

ولكن ٱبن أبي الحديد المعتزلي ذكر قبل هذا البيت بيتًا آخر من شعره ليكون:

لَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا فَأَكْرَمُ خَلْقِ اللهِ فِيْ النَّاسِ أَحْمَدُ

وَشَقَّ لَهُ مِنِ ٱسْمِهِ لِيَجُلَّهُ فَذُوْ الْعَرْشِ مُحْمُوْدٌ وَهَذَا مُحَمَّدُ

شرح نهج البلاغة ٧٨/١٤.

٥- إنَّ موقف أبي طالب عليه السلام تجاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يختلف في هذا النص وجميع النصوص المتقدمة كما يظهر في البحث والتحليل، بل لم يتنازل للمشركين مهما بلغت تهديداته ووعيدهم، وإنما ٱزداد إصرارًا وعزيمةً وجهادًا من أجل نصرة رسول الله مع المقرَّبين وغيرهم، أو ممن عادوا الإسلام والرسالة، وهذا الإصرار والعزيمة دليل على عمق عقيدته وإيمانه الراسخَيْن على رغم ما هو عليه من بلاء ومرض وشيخوخة، فلنتأمل بالنصوص المؤكدة لذلك، فهو يردُّ -ويقسم بالله- طلب المشركين السخيف البائس فيقول: (وَاللهِ لَبِئْسَ مَا تَسُوْمُوْنَنِيْ .... هَذَا وَاللهِ مَا لَا يَكُوْنُ أَبَدًا)، ثم يعرِّج على المقرَّبين منه فيصرخ في وجههم بقوله: (فَقَالَ أَبُوْ طَالِبٍ لِلْمُطْعِمِ: وَاللهِ مَا أَنْصَفُوْنِي .... فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَك).

٦- إنَّ النص يؤكد ٱشتداد المواجهة بين جبهتين رئيستين، الأولى تمثل الإسلام وفيها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعمُّه أبو طالب عليه السلام بالخصوص، والأخرى تمثل الشرك وفيها رؤساء قريش وأتباعهم، وقد بدأت العداوة والوقيعة ظاهرة بينهما (فَحَقَبَ الْأَمْرُ، وَحَمِيَتِ الْحَرْبُ، وَتَنَابَذَ الْقَوْمُ، وَبَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا)، وفي النص دلالة واضحة على ما تقدم من قوة عقيدة وإيمان أبي طالب والاستعداد للتضحية دونها، فلو كان أبو طالب على غير ذلك لكان قد تخلى عن النبي ونجا بنفسه، وحافظ على مقامه الأسمى في قومه، ولكنه دفع ثمن إيمانه وعقيدته لآخر لحظة من عمره، فكان له هذا الخلود العظيم.

إنَّ هذه النصوص في السيرة النبوية تؤكِّد ما بذله أبو طالب عليه السلام في سبيل دين الله تعالى، وفي سبيل نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وما تحمَّله من محن

شديدة، كلها تدل على رسوخ إيمانه وعقيدته، وخير ما ورد في ذلك عن ٱبـــن أبي المعتزلي (ت٦٥٦هـ) قوله: ((فإنَّ مَنْ قرأ علوم السِّيَر عرف أنَّ الإســـلام لولا أبو طالب لم يكن شيئًا مذكورًا. وليس لقائلٍ أنْ يقول كيف يُقال هذا في دين تكفَّل الله تعالى بإظهاره، سواء كان أبو طالب موجودًا أو معدومًا؛ لأنَّـــا نقول فينبغي على هذا ألَّا يُمدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، و لا يُقال إنه هدى الناس من الضلالة وأنقذهم من الجهالة، وإنَّ له حقًّا على المسلمين، وإنَّه لولاه لما عُبد الله تعالى في الأرض، وألَّا يُمدح أبو بكر ولا يُقال إنَّ له أثرًا في الإسلام .... فإنْ قلتم في كُلِّ ذلك إنَّ هؤلاء يُحْمَدون ويُثنى عليهم لأنَّ الله تعالى أجرى هذه الأمور على أيديهم، ووفقهم لها، والفاعل بذلك بالحقيقة هـــو الله تعـــالى، وهؤلاء آلة مستعملة، ووسائط تجرى الأفعال على أيديها، فحمدهم والثنـــاء عليهم والاعتراف لهم إنَّما هو باعتبار ذلك. قيل لكم في شـــأن أبي طالـــب مثله))[1].

(١) شرح نهج البلاغة ٢٤٦/١٣.

ومن غرائب ٱبن أبي الحديد المعتزلي وتأثره بالروايات الموضوعة من قبـــل الأمـــويين قوله: ((وكان أبو طالب أباه في الحقيقة، وكافله، وناصره، والمحامي عنه، ومَنْ لولاه لم تقم له قائمة، ومع ذلك لم يسلم في أغلب الروايات)).

ولكنه في مقام آخر بعد أنْ يذكر أخبارًا كثيرة في مواقف أبي طالب عليه السلام ودفاعـــه عـــن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودينه يقول: ((وجملة الأمر أنه قد روي في إسلامه أخبار كثيرة، وروي في موته على دين قومه أخبار كثيرة، فتعارض الجرح التعديل فكان كتعارض البينتين عنـــد الحاكم، وذلك يقتضي التوقف، فأنا في أمره من المتوقفين)) ٨٣/١٤.

ومما قاله أيضًا في بيان موقف أبي طالب عليه السلام في بداية الدعوة وظهور الإسلام: ((وصنَّف بعض الطالبيين في هذا العصر كتابًا في إسلام أبي طالب، وبعثه إليَّ و سألني أنْ أكتب عليه بخطي نظمًا أو نثرًا أشهد فيه بصحة ذلك، وبوثاقة الأدلة عليه، فتحرَّجت أنْ أحكم بذلك حكمًا قاطعًا؛ لما عندي من التوقف فيه، و لم أستجز أنْ أقعد عن تعظيم أبي طالب، فإنِّي أعلم أنه لولاه لما قامت للإسلام دعامة، و أعلم أنَّ حقه واجب على كُلِّ مسلم في الدنيا إلى أنْ تقوم الساعة، فكتبت على ظاهر المجلد:

وَلَوْلَا أَبُوْ طَالِبٍ وَٱبْنُهُ ... لَمَا مَثُلَ الدِّيْنُ شَخْصًا فَقَامَا
فَذَاكَ بِمَكَّةَ آوَى وَحَامَى ... وَهَذا بِيَثْرِبَ جَسَّ الحِمَامَا
تَكَفَّلَ عَبْدُ مُنَافٍ بِأَمْرٍ ... وَأَوْدَى فَكَانَ عَلِيٌّ تَمَامَا
فُقُلْ فِيْ ثَبِيْرٍ مَضَى بَعْدَمَا ... قَضَى مَا قَضَاهُ وَأَبْقَى شَمَامَا
فَلِلَّهِ ذَا فَاتِحًا لِلْهُدَى ... وَلله ذَا لِلْمَعَالِيْ خِتَامَا
وَمَا ضَرَّ مَجْدَ أَبِيْ طَالِبٍ ... جَهُوْلٌ لَغَا أَوْ بَصِيْرٌ تَعَامَى
كَمَا لَا يَضُرُّ إِبَاةَ الصَّلَجِ ... مَنْ ظَنَّ ضَوْءَ النَّهَارِ الظَّلَامَا

فوفيته حقه من التعظيم و الإجلال، و لم أجزم بأمر عندي فيه وقفة))[1].

ولكن أنَّى للباحث المنصف أنْ يتوقف في إسلام أبي طالب على رغم كُلِّ تلك المواقف التي يشهد بها له، والدالة على مدى تفانيه في سبيل نشر الدعوة الإسلامية؟! ما لكم كيف تحكمون!!

(١) شرح نهج البلاغة ١٤/٨٣-٨٤.

٢- شعر أبي طالب في المُطْعِم ومن خذله.

فَقَالَ أَبُوْ طَالِبٍ عِنْدَ ذَلِكَ يُعَرِّضُ بِالْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ وَيَعُمُّ مَنْ خَذَلَهُ مِنْ بَنِيْ عَبْدِ مَنَافٍ وَمَنْ عَادَاهُ مِنْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ، وَيَذْكُرُ مَا سَأَلُوهُ وَمَا تَبَاعَدَ مِنْ أَمْرِهِمْ:

أَلَا قُلْ لِعَمْرٍو وَالْوَلِيْدِ وَمُطْعِمٍ ... أَلَا لَيْتَ حَظِّيْ مِنْ حِيَاطَتِكُمْ بَكْرُ

مِنَ الْخُوْرِ حَبْحَابٌ كَثِيْرٌ رُغَاؤُهُ ... يَرُشُّ عَلَى السَّاقَيْنِ مِنْ بَوْلِهِ قَطْرُ

تَخَلَّفَ خَلْفَ الْوِرْدِ لَيْسَ بِلَاحِقٍ ... إِذَا مَا عَلَا الْفَيْفَاءَ قِيْلَ لَهُ وَبْرُ

أَرَى أَخَوَيْنَا مِنْ أَبِيْنَا وَأُمِّنَا ... إِذَا سُئِلَا قَالَا إِلَى غَيْرِنَا الْأَمْرُ

بَلَى لَهُمَا أَمْرٌ وَلَكِنْ تَجَرْجَمَا ... كَمَاجُرْجِمَتْ مِنْ رَأْسِ ذِيْ عَلَقٍ الصَّخْرُ

أَخُصُّ خُصُوْصًا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلًا ... هُمَا نَبَذَانَا مِثْلَ مَا يُنْبَذُ الْجَمْرُ

هُمَا أَغْمَزَا لِلْقَوْمِ فِيْ أَخَوَيْهِمَا ... فَقَدْ أَصْبَحَا مِنْهُمْ أَكُفُّهُمَا صِفْرُ

هُمَا أَشْرَكَا فِيْ الْمَجْدِ مَنْ لَا أَبَا لَهُ ... مِنَ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُرَسَّ لَهُ ذِكْرُ

وَتَيْمٌ وَمَخْزُوْمٌ وَزُهْرَةُ مِنْهُمْ ... وَكَانُوْا لَنَا مَوْلًى إِذَا بُغِيَ النَّصْرُ

فَوَاللهِ لَا تَنْفَكُّ مِنَّا عَدَاوَةٌ ... وَلَا مِنْهُمْ مَا كَانَ مِنْ نَسْلِنَا شَفْرُ

فَقَدْ سَفُهَتْ أَحْلَامُهُمْ وَعُقُولُهُمْ ... وكانوا كَجَفْرٍ بِئْسَ مَا صَنَعَتْ جَفْرُ

قَالَ ٱبْنُ هِشَامٍ : تَرَكْنَا مِنْهَا بَيْتَيْنِ أَقْذَعَ فِيهِمَا[1] .

---

(١) السيرة النبوية ١/٣٠٠-٣٠١.

إنَّ هذه الأبيات الأحد عشر التي ذكرها ٱبن هشام قد وردت في ديوانه بصنعة ٱبن هفان العبدي (ت٢٥٧هـ) في ستة عشر بيتًا، والأبيات الخمسة التي تركها ٱبن هشام:

وَسَارَ بِرَحْلِيْ فَاطِرَ النَّابِ جَاشِمٌ ... ضَغِيْمٌ الْقُصَيْرَى لَا كَبِيْرٌ وَلَا بِكْرُ

وَمَا ذَاكَ إِلَّا سُؤْدَدٌ خَصَّنَا بِهِ ... إِلَهُ الْعِبَادِ وَٱصْطَفَانَا لَهُ الْفَخْرُ

إنَّ في هذه الأبيات التي ذكرها أبو طالب عليه السلام ردًّا على موقف أولئك المشركين تعدُّ إعلانًا عامًّا لمواجهة المشركين، وموقفًا صريحًا لا لبس فيه لتأييد النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته، وتأكيدًا لما تقدم من كلامه في محاورتهم، ولا يخفى على الباحث أنَّ أبا طالب عليه السلام قد لجأ إليهم في ردِّهم بأسلوب علمي جدلي أقام الحجة عليهم في سخافة طلبهم، بل أراد أنْ يعلن للآخرين موقفهم من هذه المجموعة من المشركين وما كان رأيهم، وكل هذا حقيقة يدل على عزيمته وإيمانه، وشجاعته وثباته.

رِجَالٌ تَمَالَوْا حَاسِدِيْنَ وَبُغْضَةً لِأَهْلِ الْعُلَى فَبَيْنَهُمْ أَبَدًا وِتْرُ
وَلِيْدٌ كَانَ أَبُوْهُ عَبْدًا لِجَدِّنَا إِلَى عِلْجَةٍ زَرْقَاءَ جَالَ بِهَا السِّحْرُ
وَزُهْرَةُ كَانُوْا أَوْلِيَائِيْ وَنَاصِرِيْ وَأَنْتُمْ إِذَا تُدْعَوْنَ فِيْ سَمْعِكُمْ وَقْرُ

ديوان أبي طالب ص١٠٦-١٠٨.

ولكنها وردت في ديوانه بصنعة علي بن حمزة البصري التميمي (ت٣٧٥هـ) في أحد عشر بيتًا مع ٱختلاف في بعض ما ورد في السيرة. ينظر: ديوان أبي طالب ص٨١.

- المورد السادس: الرسول (صلى الله عليه [وآله] وسلم) وعلي يخرجان إلى الصلاة في شعب مكة واكتشاف أبي طالب لهما.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ) كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ، وَخَرَجَ مَعَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ مُسْتَخْفِيًا مِنْ أَبِيْهِ أَبِيْ طَالِبٍ، وَمِنْ جَمِيْعِ أَعْمَامِهِ وَسَائِرِ قَوْمِهِ فَيُصَلِّيَانِ الصَّلَوَاتِ فِيْهَا، فَإِذَا أَمْسَيَا رَجِعَ، فَمَكَثَا كَذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَمْكُثَا.

ثُمَّ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ عَثَرَ عَلَيْهِمَا يَوْمًا وَهُمَا يُصَلِّيَانِ، فَقَالَ لِرَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) يَا ٱبْنَ أَخِيْ مَا هَذَا الدِّيْنُ الَّذِيْ أَرَاكَ تَدِيْنُ بِهِ؟

قَالَ أَيْ عَمِّ هَذَا دِيْنُ الله، وَدِيْنُ مَلَائِكَتِهِ، وَدِيْنُ رُسُلِهِ، وَدِيْنُ أَبِيْنَا إِبْرَاهِيْمَ - أَوْ كَمَا قَالَ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ)- بَعَثَنِيْ اللهُ بِهِ رَسُوْلًا إِلَى الْعِبَادِ، وَأَنْتَ أَيْ عَمِّ أَحَقُّ مَنْ بَذَلْتُ لَهُ النَّصِيْحَةَ، وَدَعَوْتُهُ إِلَى الْهُدَى، وَأَحَقُّ مَنْ أَجَابَنِيْ إِلَيْهِ، وَأَعَانَنِي عَلَيْهِ، أَوْ كَمَا قَالَ.

فَقَالَ أَبُوْ طَالِبٍ: أَيْ ٱبْنَ أَخِيْ، إِنِّيْ لَا أَسْتَطِيْعُ أَنْ أُفَارِقَ دِيْنَ آبَائِيْ وَمَا كَانُوْا عَلَيْهِ، وَلَكِنْ وَالله لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ تَكْرَهُهُ مَا بَقِيْتُ.

وَذَكَرُوْا أَنَّهُ قَالَ لِعَلِيٍّ: أَيْ بُنَيَّ مَا هَذَا الدِّيْنُ الَّذِيْ أَنْتَ عَلَيْهِ؟

فَقَالَ يَا أَبَتِ آمَنْتُ بِالله وَبِرَسُوْلِ الله وَصَدَّقْتُهُ بِمَا جَاءَ بِهِ، وَصَلَّيْت مَعَهُ لِلَّهِ وَٱتَّبَعْتُهُ.

فَزَعَمُوْا أَنَّهُ قَالَ لَهُ: أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالْزَمْهُ[1].

(١) السيرة النبوية ١/٢٨٢-٢٨٣.

إنَّ هذا النص المتعلق برواية الصلاة وأمر أبي طالب عليه السلام تجاهها، يمكن التعليق عليه إيجازًا بما يأتي:

١- إنَّ ٱستفهام أبي طالب عليه السلام من النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن الدين وما رآه من الصلاة وكيفية التعبد بها في بداية الدعوة أمر طبيعي، فلم تكن كيفية الصلاة معروفة أو معهودة بينهم آنذاك قبل تشريعها، ولا يعني بالضرورة أنَّه معترض على هذه العبادة، وهذا ما سنذكره لاحقًا.

٢- إنَّ النص يدعو الباحثين للتساؤل والتتبع عن دين أبي طالب وآبائه الذي كانوا عليه، والذي كان أبو طالب عليه السلام يتمسك به كما في النص (إِنِّيْ لَا أَسْتَطِيْعُ أَنْ أُفَارِقَ دِيْنَ آبَائِيْ وَمَا كَانُوْا عَلَيْهِ)، فالذي يؤمن به أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام أنَّ آباء الأنبياء موحدون، ((وٱتفقت الإمامية على أنَّ آباء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لدن آدم إلى عبد الله بن عبد المطلب مؤمنون بالله -عز وجل- موحدون له، وٱحتجوا في ذلك بالقرآن والأخبار))[1]، فإنْ كان على دين التوحيد فما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم موافق لذلك، مع الافتراق في كيفية أداء العبادات، ولكن ٱمتناع أبي طالب عن عدم مفارقة دين آبائه كما في النص يعني هم على غير التوحيد، وهذا يخالف عقيدتنا كما تقدم، وما ذكره الأعلام في ذلك[2].

---

(١) أوائل المقالات، محمد بن محمد بن النعمان الشيخ المفيد ص٤٦.

(٢) قال أحمد زيني دحلان: ((وقد ذكر البرزنجي والسيوطي وغيرهم ممن ألَّفوا في نجاة آباء النبي "صلى الله عليه [وآله] وسلم" وأمهاتهم، وفي أنه كلهم على التوحيد دلائل وبراهين على ذلك، وأفردوا كل أحد من الآباء بترجمة)). أسنى المطالب في نجاة أبي طالب ص٣٨.

٣- إذا كان أبو طالب عليه السلام على غير التوحيد كما في النص، وهو متمسك بدينه ودين آبائه، ولا يتنازل عن ذلك، فكيف يسمح لابن أخيه أنْ يأتي بدين آخر يكفِّرُ عقيدته التي هو عليها؟!

وكيف يسمح للنبي أنْ يدعو الناس إليه وهو مخالف لعقيدتهم وأبو طالب سيد قومه؟!

وكيف يرضى لابنه الإمام علي عليه السلام أنْ يلتحق بهذا الدين المعادي لعقيدتهم؟!

وكيف يتعهد بالحفاظ عليه وهو يكفر به وبعقيدته كما في قوله (وَلَكِنْ وَاللهِ لَا يَخْلُصُ إِلَيْكَ بِشَيْءٍ تَكْرَهُهُ مَا بَقِيْتُ)؟!

وكيف يحث ٱبنه على التمسك بالنبي وملازمته كما في قوله (أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَدْعُكَ إِلَّا إِلَى خَيْرٍ فَالْزَمْهُ)؟!

وهل يعقل أنَّ إنسانًا عظيمًا في قومه وفي غيرهم مثل أبي طالب عليه السلام يرى ٱبنه على دين جديد يخالفه فيحثه على التمسك بتلك الدعوة، وهو يكفر بها[1]؟!

---

(١) قال أحمد زيني دحلان نقلًا عن السيد محمد بن رسول البرزنجي: ((فلولا أنه [أبو طالب] مصدق بدينه لما رضي لابنيه أنْ يكونا معه، وأنْ يصليا معه، بل ولا كان يأمرهما بالصلاة، فإنَّ عداوة الدين أشد العداوات، كما قيل:

كُلُّ الْعَدَاوَاتِ قَدْ تُرْتَجَى إِمَاتَتُهَا - إِلَّا عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاكَ فِيْ الدِّيْنِ

فهذه الأخبار كلها صريحة في أنَّ قلبه طافح وممتلىء بالإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم)). أسنى المطالب في نجاة أبي طالب ص١٢-١٣.

وقوله (لما رضي لابنيه) لوجود روايات أنَّ ٱبنه جعفرًا أيضًا قد صلى خلف النبي ورآه أبو طالب.

وإنَّ قوله (فالزمه) فيه دلالات واضحة على الإيمان بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، والحث على ملازمته لما في ذلك من خير الدنيا والآخرة.

٤- أرى أنَّ في النص اضطرابًا يخالف ما ورد مع نصوص أخرى وردت عن أبي طالب عليه السلام، ففي هذا النص نرى صورة أبي طالب كما يُراد تصويرها أنها صورة المعاند للإسلام، أو المحذِّر منه، المتمسك لخلاف ما عليه المسلمون، كما في أول النص من القول بحق النبي (كَانَ إِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ خَرَجَ إِلَى شِعَابِ مَكَّةَ، وَخَرَجَ مَعَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِيْ طَالِبٍ مُسْتَخْفِيًا مِنْ أَبِيْهِ أَبِيْ طَالِبٍ)، وكذلك قوله (إِنِّيْ لَا أَسْتَطِيْعُ أَنْ أُفَارِقَ دِيْنَ آبَائِيْ وَمَا كَانُوْا عَلَيْهِ)، ولكنه في الوقت نفسه يدعو لملازمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويتحمل بسببه الآلام والمآسي كما تقدم عند محاججة قومه إياه (فَحَقَبَ الْأَمْرُ، وَحَمِيَتِ الْحَرْبُ، وَتَنَابَذَ الْقَوْمُ، وَبَادَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا)، وكما سيأتي لاحقًا بقوله: (لَقَدْ عَلِمُوْا أَنَّ ٱبْنَنَا لَا مُكَذَّبٌ - لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَوْلِ الْأَبَاطِلِ).

- المورد السابع: عداوة قريش للإسلام[١].

١- قريش تظهر عداوتها للمسلمين.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ قُرَيْشًا تَذَامَرُوْا بَيْنَهُمْ عَلَى مَنْ فِيْ الْقَبَائِلِ مِنْهُمْ مِنْ أَصْحَابِ رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) الَّذِيْنَ أَسْلَمُوْا مَعَهُ، فَوَثَبَتْ كُلُّ قَبِيْلَةٍ عَلَى مَنْ فِيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ يُعَذِّبُوْنَهُمْ وَيَفْتِنُوْنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَمَنَعَ اللهُ رَسُولَهُ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) مِنْهُمْ بِعَمِّهِ أَبِيْ طَالِبٍ، وَقَدْ قَامَ أَبُوْ طَالِبٍ حِيْنَ رَأَى قُرَيْشًا يَصْنَعُوْنَ مَا يَصْنَعُوْنَ فِيْ بَنِيْ هَاشِمٍ وَبَنِيْ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَدَعَاهُمْ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَنْعِ رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) وَالْقِيَامِ دُونَهُ فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَقَامُوْا مَعَهُ وَأَجَابُوْهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ إِلَّا مَا كَانَ مِنْ أَبِيْ لَهَبٍ عَدُوِّ الله الْمَلْعُوْنِ[٢].

إنَّ في هذا النص قراءات مهمة تبين مقام أبي طالب عليه السلام ويمكن بيانها إجمالًا بما يأتي:

١- إنَّ النص يؤكد ما كان عليه المسلمون من أذًى شديد قام به المشركون تجاههم بسبب إيمانهم بدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وفي ذلك سبب مباشر كبير في إظهار عدائهم ووعيدهم بقائد هذه الدعوة، ومن يعينه عليها، فضلًا عمن يدعمه وينصره ماديًّا ومعنويًّا مثل عمِّه أبي طالب الذي لم يَخْفَ على أحد نصرته لرسول الله، ولم يَخَفْ أحدًا في نصرته على رغم شدة المعارضة والعداوة وشراستها.

---

(١) في هذا المورد عنوانان لهما علاقة فيما بينهما سيتم بيانهما.

(٢) السيرة النبوية ١/٣٠١.

٢- إنَّ النص يثبت الموقف العظيم الخالد لأبي طالب عليه السلام في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم في دعوته إلى الإسلام عن عقيدة راسخة، وإلَّا لم يتحمل بسبب قرابته كُلَّ تلك المحن والابتلاءات، فضلًا عن العداء من قومه وٱبتعادهم عنه، وقد أكَّد النص تسديد الله تعالى وحفظه لرسوله بأبي طالب (وَمَنَعَ اللهُ رَسُولَهُ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ" مِنْهُمْ بِعَمِّهِ أَبِيْ طَالِبٍ)، فالمنعة والحفظ لم تكن لولا أبو طالب، فالمشركون كانوا على ٱستعداد تامٍّ لقتل النبي، وعدم التواني والتردد في ذلك، كما تقدم من نصوص في الموارد المتقدمة، فضلًا عمَّا في النص من قرائن، فالوضع المجتمعي كان قائمًا على قلع جذور الإسلام، ومنع وجوده وٱنتشاره (فَوَثَبَتْ كُلُّ قَبِيْلَةٍ عَلَى مَنْ فِيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِيْنَ يُعَذِّبُوْنَهُمْ وَيَفْتِنُوْنَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ).

٣- إنَّ أبا طالب عليه السلام لم يكتفِ بنصرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بنفسه، بل قام -بما عليه من جاه ومقام- بدعوة قومه للمشاركة في الحفاظ على رسول الله، وهذا يؤكد مدى حرصه عليه، والدفاع عن دعوته إلى دين الله، فاستطاع بما أوتي من قوة وعقيدة وحكمة إقناعهم وتشجيعهم (فَدَعَاهُمْ إِلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ مِنْ مَنْعِ رَسُوْلِ اللهِ "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ" وَالْقِيَامِ دُونَهُ)، بل تبديل رأيهم من العداوة إلى الدفاع عن النبي (فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَقَامُوْا مَعَهُ وَأَجَابُوْهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ)، ولم يكن ذلك لولا حكمته في التعامل معهم طوال الأحداث التي تقدمت، وعدم معاداتهم ومواجهتهم، ومحاولة إخفاء تأييده للعقيدة الإسلامية أمامهم، ومطاوعته إياهم في عرض مطالبهم على رسول الله كما تقدم.

٢- شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته.

فَلَمَّا رَأَى أَبُوْ طَالِبٍ مِنْ قَوْمِهِ مَا سَرَّهُ فِيْ جَهْدِهِمْ مَعَهُ، وَحَدَبِهِمْ عَلَيْهِ، جَعَلَ يَمْدَحُهُمْ، وَيَذْكُرُ قَدِيْمَهُمْ، وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) فِيْهِمْ، وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ؛ لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ، وَلِيَحْدَبُوْا مَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ، فَقَالَ:

إِذَا ٱجْتَمَعَتْ يَوْمًا قُرَيْشٌ لِمَفْخَرٍ ... فَعَبْدُ مَنَافٍ سِرُّهَا وَصَمِيْمُهَا[1]

وَإِنْ حَصَلَتْ أَشْرَافُ عَبْدِ مَنَافِهَا ... فَفِيْ هَاشِمٍ أَشْرَافُهَا وَقَدِيْمُهَا

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْمًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا ... هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا

تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَثُّهَا وَسَمِيْنُهَا ... عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا

وَكُنَّا قَدِيْمًا لَا نُقِرُّ ظُلَامَةً ... إِذَا مَا ثَنَوْا صُعْرَ الْخُدُوْدِ نُقِيمُهَا

وَنَحْمِيْ حِمَاهَا كُلَّ يَوْمٍ كَرِيْهَةً ... وَنَضْرِبُ عَنْ أَجْحَارِهَا مَنْ يَرُوْمُهَا

بِنَا ٱنْتَعَشَ الْعُوْدُ الذَّوَاءُ وَإِنَّمَا ... بِأَكْنَافِنَا تَنْدَى وَتَنْمَى أُرُوْمُهَا[2]

فمما ورد في النص والأبيات الشعرية من مواقف متعددة ينبغي بيانها، وتسليط الضوء عليها، ومنها:

١- إنَّ في النص دلالات واضحة تؤكد موقف أبي طالب عليه السلام في نصرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأنه كان يدافع عن عقيدته بكُلِّ شجاعة وحكمة، فعلى الرغم من مساندته للنبي ومعاداة قومه له فقد حاول أنْ لا يفقد مقامه فيهم، وهذا يدل على

---

(١) سرها: وسطها، وسر الوادي وسرارته وسطه، وذلك مدح في موضعين في وصف الشهود وفي النسب. الروض الأنف ١/١١.

(٢) السيرة النبوية ١/٣٠١-٣٠٢.

حكمته وحصافة رأيه، وهذا ما جعل أعداء النبي من أهل بيته أنْ يكونوا من المحامين عنه، والوقوف معه ضد المشركين الذين يحاولون النيل من الإسلام.

٢- لقد ٱستطاع أبو طالب عليه السلام أنْ يجعل الرأي العام لقريش -إجمالًا- مساندًا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الموقف لا يمكن أنْ يكون إلا لمن هو على مقام عظيم في العقيدة، والثبات والرسوخ من أجلها، مهما كان ثمن ذلك، فبعد أنْ كان النبي مهدَّدًا بالقتل، أو النيل منه، ٱنقلب الموقف إلى التصريح بمقامه في قومه، وأهمية نصرته والدفاع عنه، فغَدَا أبو طالب يصرِّح علانية بمقام رسول الله، بل (وَيَذْكُرُ فَضْلَ رَسُوْلِ الله "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ" فِيْهِمْ، وَمَكَانَهُ مِنْهُمْ؛ لِيَشُدَّ لَهُمْ رَأْيَهُمْ، وَلِيَحْدَبُوْا مَعَهُ عَلَى أَمْرِهِ)، وفي هذا من البيان ما لا يخفى على أي باحث عن الحقيقة التاريخية.

٣- إنَّ في شعر أبي طالب عليه السلام دلالات على الاعتراف برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ودعوته، وفضله ومقامه، مما يؤكد موقفه وعقيدته، فلنتأمل في مخاطبته قريش وتفاخرها بما هي عليه من مقام من دون غيرهم:

وَإِنْ فَخَرَتْ يَوْمًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا هُوَ الْمُصْطَفَى مِنْ سِرِّهَا وَكَرِيمُهَا

فاستعماله كلمة (المصطفى) فيه بيان للتأكيد على أنَّ الله تعالى قد ٱصطفى محمدًا من قريش دون غيره، بل يعد ذلك الاصطفاء فخرًا لهم، وعلى الناس أنْ يؤمنوا بأنَّ هذا الاصطفاء سيجعل لهم مقامًا عظيمًا خالدًا، فأبو طالب عليه السلام عندما يعلن ذلك بشعره إنما يعلن صراحة موقفه في نصرة النبي والرسالة الإسلامية، وإلا فماذا يراد بهذه الكلمة الواضحة الدلالة على نبوته والاعترف بها والفخر؟!

٤- لقد أثبت أبو طالب عليه السلام في شعره أنَّ الله تعالى قد نصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رغم محاولات قريش في الوقوف بوجه الدعوة الإسلامية، ولكنها فشلت في كُلِّ ذلك ولم تستطع تحقيق غايتها وأحلامها في إفشال دعوة رسول الله وإضعاف عزيمة المسلمين، وقد صرَّح بذلك في قوله:

تَدَاعَتْ قُرَيْشٌ غَثَّهَا وَسَمِيْنُهَا عَلَيْنَا فَلَمْ تَظْفَرْ وَطَاشَتْ حُلُومُهَا

فهذا الموقف يثبت مدى نصرته للنبي والدفاع عنه، والجهر بذلك أمام قومه، ودعوته للتفكر والتأمل، ومراجعة أنفسهم في مواقفهم تجاه النبي.

- المورد الثامن: شعر أبي طالب في استعطاف قريش[١].

فَلَمَّا خَشِيَ أَبُوْ طَالِبٍ دَهْمَاءَ الْعَرَبِ أَنْ يَرْكَبُوْهُ مَعَ قَوْمِهِ، قَالَ قَصِيْدَتَهُ الَّتِيْ تَعَوَّذَ فِيْهَا بِحَرَمِ مَكَّةَ وَبِمَكَانِهِ مِنْهَا، وَتَوَدَّدَ فِيْهَا أَشْرَافُ قَوْمِهِ وَهُوَ عَلَى ذَلِكَ يُخْبِرُهُمْ وَغَيْرَهُمْ فِي ذَلِكَ مِنْ شِعْرِهِ أَنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ رَسُوْلَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) وَلَا تَارِكُهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا حَتَّى يَهْلَكَ دُونَهُ فَقَالَ:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وُدَّ فِيْهِمْ ... وَقَدْ قَطَعُوْا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

وَقَدْ صَارَحُوْنَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوْا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ

وَقَدْ حَالَفُوْا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظِنَّةً ... يَعَضُّوْنَ غَيْظًا خَلْفَنَا بِالْأَنَامِلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِيْ بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ ... وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ الْمَقَاوِلِ[٢]

وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِيْ وَإِخْوَتِي ... وَأَمْسَكْت مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ

قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِيْنَ رِتَاجَهُ ... لَدَى حَيْثُ يُقْضِيْ حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلِ[٣]

وَحَيْثُ يُنِيْخُ الْأَشْعَرُوْنَ رِكَابَهُمْ ... بِمَفْضَى السُّيُوْلِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ

مُوَسَّمَةُ الْأَعْضَادِ أَوْ قَصَرَاتُهَا ... مُخَيَّسَةٌ بَيْنَ السَّدِيْسِ وَبَازِلِ

تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا وَالرُّخَامَ وَزِيْنَةً ... بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُوْدَةٌ كَالْعَثَاكِلِ[٤]

---

(١) وهذه القصيدة من قصائده المشهورة التي ذكرتها مصادر متعددة، وسنذكر بعض ما يتعلق بها في الملحق. وسوف أعتمد على بيان بعض معاني مفردات القصيدة اعتمادًا على كتابَي السهيلي والبغدادي.

(٢) والأبيض: السيف. والعضب: القاطع. المقاوِل: جمع مِقول الرئيس.

(٣) الرتاج: الباب العظيم. والنافل: النافلة وهو التطوع.

(٤) الودع: خرزات تُنظم ويتحلى بها النساء الصبيان. والعثاكل: الأغصان.

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَـاعِنٍ ... عَلَيْنَـا بِـسُوْءٍ أَوْ مُلِـحٍّ بِبَاطِـلِ
وَمَن ٱكَاشِحٍ يَـسْعَى لَنَـا بِمَعِيْبَـةٍ ... وَمِنْ مُلْحِقٍ فِيْ الدِّيْنِ مَا لَمْ نُحَـاوِلِ
وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَـى ثَبِيْـرًا مَكَانَـهُ ... وَرَاقٍ لِيَرْقَـى فِـيْ حِـرَاءَ وَنَـازِلِ
وَبِالْبَيْتِ، حَقَّ الْبَيْتِ، مِنْ بَطْنِ مَكَّةٍ ... وَبِـاللهِ إِنَّ اللهَ لَـيْسَ بِغَافِـلِ
وَبِالْحَجَرِ الْمُـسْوَدِّ إِذْ يَمْـسَحُونَهُ ... إِذَا ٱكْتَنَفُـوْهُ بِالـضُّحَى وَالْأَصَـائِلِ
وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيْمَ فِيْ الصَّخْرِ رَطْبَةٌ ... عَلَـى قَدَمَيْـهِ حَافِيًـا غَيْـرَ نَاعِـلِ
وَأَشْوَاطٍ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَى الصَّفَا ... وَمَا فِيْهِمَـا مِـنْ صُـوْرَةٍ وَتَمَاثُـلِ
وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ مِنْ كُلِّ رَاكِـبٍ ... وَمِنْ كُلِّ ذِيْ نَذْرٍ وَمِنْ كُـلِّ رَاجِـلِ
وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوْا لَـهُ ... إِلَالٍ إِلَى مَقْضَى الـشِّرَاجِ الْقَوَابِـلِ
وَتَوْقَافِهِمْ فَـوْقَ الْجِبَـالِ عَـشِيَّةً ... يُقِيمُوْنَ بِالْأَيْدِيْ صُـدُورَ الرَّوَاحِـلِ
وَلَيْلَةِ جَمْعٍ وَالْمَنَـازِلِ مِـنْ مِنًـى ... وَهَلْ فَوْقَهَا مِـنْ حُرْمَـةٍ وَمَنَـازِلِ
وَجَمْعٍ إِذَا مَا الْمُقْرَبَـاتِ أَجَزْنَـهُ ... سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعِ وَابِـلِ
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوْا لَهَا ... يَؤُمُّـوْنَ قَـذْفًا رَأْسَـهَا بِالْجَنَـادِلِ
وَكِنْدَةَ إِذَا هُمْ بِالْحِـصَابِ عَـشِيَّةً ... تُجِيْزُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْـرِ بْـنِ وَائِـلِ
حَلِيْفَانِ شَدَّا عَقْدَ مَا ٱحْتَلَفَـا لَـهُ ... وَرَدَّا عَلَيْـهِ عَاطِفَـاتِ الْوَسَـائِلِ
وَحَطَمْهِمْ ٱسُمْرَ الرِّمَّاحِ وَسَـرْحُهُ ... وَشَـبْرِقَهُ وَخْـدَ النَّعَـامِ الْجَوَافِـلِ
فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِـنْ مُعَـاذٍ لِعَائِـذٍ ... وَهَلْ مِـنْ مُعِيْـذٍ يَتَّقِـي اللهَ عَـاذِلِ
يُطَاعُ بِنَا أَمْرُ الْعِـدَى وَوَدُّوْا أَنَّنَـا ... تُـسَدُّ بِنَـا أَبْـوَابُ تُـرْكٍ وَكَابُـلِ
كَـذَبْتُمْ وَبَيْـتِ اللهِ نَتْـرُكُ مَكَّـةَ ... وَنَطْعَـنُ إِلَّا أَمْـرُكُمْ فِـي بَلَابِـلِ

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا ... وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ[١]

وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ ... وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ

وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِيْ الْحَدِيْدِ إِلَيْكُمُ ... نُهُوْضَ الرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ

وَحَتَّى تَرَى ذَا الضَّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ ... مِنَ الطَّعْنِ فِعْلَ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِلِ

وَإِنَّا - لَعَمْرُ اللهِ- إِنْ جَدَّ مَا أَرَى ... لَتَلْتَبِسَنَّ أَسْيَافُنَا بِالْأَمَاثِلِ[٢]

بِكَفَّيْ فَتًى مِثْلَ الشِّهَابِ سَمَيْدَعٍ ... كَأَخِيْ ثِقَةٍ حَامِيْ الْحَقِيْقَةِ بَاسِلِ[٣]

شُهُوْرًا وَأَيَّامًا وَحَوْلًا مُجَرَّمًا ... عَلَيْنَا وَتَأْتِيْ حَجَّةٌ بَعْدَ قَابِلِ

وَمَا تَرْكُ قَوْمٍ، لَا أَبَا لَكَ سَيِّدًا ... يَحُوْطُ الذِّمَارَ غَيْرَ ذَرْبٍ مُوَاكِلِ[٤]

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ[٥]

يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّافُ[٦] مِنْ آلِ هَاشِمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِيْ رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

لَعَمْرِيْ لَقَدْ أَجْرَى أُسَيْدٌ وَبِكْرُهُ ... إِلَى بُغْضِنَا وَجَزَّآنَا لِآكِلِ

وَعُثْمَانُ لَمْ يَرْبَعْ عَلَيْنَا وَقُنْفُذٌ ... وَلَكِنْ أَطَاعَا أَمْرَ تِلْكَ الْقَبَائِلِ

أَطَاعَا أُبَيًّا وَابْنَ عَبْدٍ يُغِوثِهُمْ ... وَلَمْ يَرْقُبَا فِيْنَا مَقَالَةَ قَائِلِ

---

(١) نبزى: نغلب ونقهر.

(٢) الأماثل: جمع أمثل الأشراف.

(٣) بكفَّي: تثنية كف. وقد حقق الله ما تفرسه أبو طالب يوم بدر. سَميدع: السيد الموطَّأ الأكناف.

(٤) الذمار: ما وراء الرجل يحميه. الذَرِب: الفاحش البذي اللسان. المواكل: العاجز.

(٥) الثمال: العماد والملجأ والمطعِم والمغني والكافي.

(٦) وفي الديوان: الهُلَّاكُ. ينظر ص٧٢.

كَمَا قَدْ لَقِيْنَا مِــنْ سُــبَيْعٍ وَنَوْفَــلٍ ... وَكُلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضًــا لَــمْ يُجَامِــلِ
فَإِنْ يُلْقِيَــا أَوْ يُمْكِــنِ اللهُ مِنْهُمَــا ... نَكِلْ لَهُمَا صَاعًا بِــصَاعِ الْمُكَايِــلِ
وَذَاكَ أَبُوْ عَمْرٍو أَبَى غَيْــرَ بُغْــضِنَا ... لِيَظْعَنَا فِــيْ أَهْــلِ شَــاءٍ وَجَامِــلِ
ينُاَجِي بْنِاَ فِي كلُِّ مُمْسًى ومَُــصْبَحٍ ... فنَاَجِ أَبَــا عَمْــرٍو بِنَــا ثُــمَّ خَاتِــلِ
وَيُؤْلِيْ لَنَــا بِــالله مَــا إِنْ يَغُــشَّنَا ... بَلَى قَدْ نَــرَاهُ جَهْــرَةً غَيْــرَ حَائِــلِ
أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْــضُنَا كُــلَّ تَلْعَــةٍ ... مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْــشُبٍ فَمُجَــادِلِ
وَسَائِلْ أَبَا الْوَلِيْــدِ مَــاذَا حَبَوْتَنَــا ... بِسَعْيِكَ فِيْنَــا مُعْرِضًــا كَالْمُخَاتِــلِ
وَكُنْتَ ٱمْرَأً مِمَّــنْ يُعَــاشُ بِرَأْيِــهِ ... وَرَحْمَتُــهُ فِيْنَــا وَلَــسْتَ بِجَاهِــلِ
فَعُتْبَةُ لَا تَسْمَعْ بِلَغْــوِ كَاشِــحٍ ... حَسُودٍ كَذُوْبٍ مُبْغِضٍ ذِيْ دَغَــاوِلِ
وَمَرَّ أَبُوْ سُــفْيَانَ عَنِّــيْ مُعْرِضًــا ... كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِــنْ عِظَــامِ الْمَقَــاوِلِ
يَفِــرُّ إِلَــى نَجْــدٍ وَبَــرْدِ مِيَاهِــهِ ... وَيَزْعُمُ أَنِّيْ لَــسْتُ عَــنْكُمْ بِغَافِــلِ
وَيُخْبِرُنَــا فِعْــلَ الْمُنَاصِــحِ أَنَّــهُ ... شَفِيْقٌ وَيُخْفِيْ عَارِمَــاتِ الــدَّوَاخِلِ
أَمُطْعِمُ لَمْ أَخْذُلْكَ فِيْ يَوْمِ نَجْــدَةٍ ... وَلَا مُعْظِمٍ عِنْــدَ الْأُمُــوْرِ الْجَلَائِــلِ
وَلَا يَوْمَ خَــصْمٍ إِذَا أَتَــوْكَ أَلِــدَّةً ... أُوْلِيْ جَدَلٍ مِــنَ الْخُــصُوْمِ الْمَــسَاجِلِ
أَمُطْعِمُ إِنَّ الْقَوْمَ سَــامُوْكَ خُطَّــةً ... وَإِنِّيْ مَتَى أُوْكَــلْ فَلَــسْتُ بِوَائِــلِ
جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَــوْفَلاً ... عُقُوبَــةَ شَــرٍّ عَــاجِلًا غَيْــرَ آجِــلِ
بِمِيْزَانِ قِــسْطٍ لَا يُخِــسُّ شَــعِيْرَةً ... لَهُ شَاهِدٌ مِــنْ نَفْــسِهِ غَيْــرَ عَائِــلِ
لَقَدْ سَفِهَتْ أَحْلَامُ قَــوْمٍ تَبَــدَّلُوْا ... بَنِيْ خَلَفٍ قَيْضًا بِنَــا وَالْغَيَاطِــلِ[1]

(١) الغياطل: بنو سهم؛ لأن أمهم الغيطلة، وقيل: إنَّ بني سهم سُمُّوا بالغياطل.

وَنَحْنُ الصَّمِيْمُ مِنْ ذُؤَابَـةِ هَاشِـمٍ ... وَآلِ قُصَيٍّ فِيْ الْخُطُـوْبِ الْأَوَائِـلِ
وَسَهْمٌ وَمَخْزُوْمٌ تَمَـالَوْا وَأَلَّبُـوا ... عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طِمْـلٍ[1] وَخَامِـلِ
فَعَبْدُ مَنَافٍ أَنْـتُمْ خَيْـرُ قَـوْمِكُمْ ... فَلَا تُشْرِكُوْا فِيْ أَمْرِكُمْ كُـلَّ وَاغِـلِ
لَعَمْرِيْ لَقَـدْ وَهَنْـتُمْ وَعَجَـزْتُمْ ... وَجِئْتُمْ بِـأَمْرٍ مُخْطِـئٍ لِلْمَفَاصِـلِ
وَكُنْتُمْ حَدِيْثًا حَطْبَ قِـدْرٍ وَأَنْـتُمْ ... الْآنَ حَطَـابُ أَقْـدُرٍ وَمَرَاجِـلِ
لِيَهْنِئْ بَنِيْ عَبْـدِ مَنَـافٍ عُقُوقُنَـا ... وَخِذْلَانُنَا وَتَرْكُنَـا فِـيْ الْمَعَاقِـلِ
فَإِنْ نَكُ قَوْمًا نَتَّئِـرْ مَـا صَـنَعْتُمْ ... وَتَحْتَلِبُوهَـا لِقْحَـةً غَيْـرَ بَاهِـلِ
وَسَائِطُ كَانَتْ فِيْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِـبٍ ... نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلَّ صَـقْرٍ حُلَاحِـلِ[2]
وَرَهْطُ نُفَيْلٍ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى ... وَأَلْأَمُ حَـافٍ مِـنْ مَعَـدٍّ وَنَاعِـلِ
فَـأَبْلِغْ قُـصَيًّا أَنْ سَيُنْـشَرُ أَمْرُنَـا ... وَبَـشِّرْ قُـصَيًّا بَعْـدَنَا بِالتَّخَـاذُلِ
وَلَوْ طَرَقَتْ لَـيْلًا قُـصَيًّا عَظِيمَـةٌ ... إِذًا مَا لَجَأْنَا دُوْنَهُمْ فِـيْ الْمَـدَاخِلِ
وَلَوْ صَدَقُوْا ضَرْبًا خِلَالَ بُيُـوْتِهِمْ ... لَكُنَّا أُسًى عِنْـدَ النِّـسَاءِ الْمَطَافِـلِ
فَكُلُّ صَدِيْقٍ وَابْـنُ أُخْـتٍ نَعُـدُّهُ ... لَعَمْرِيْ وَجَـدْنَا غِبَّـهُ غَيْـرَ طَائِـلِ
سِوَى أَنَّ رَهْطًا مِنْ كِلَابِ بْنِ مُـرَّةٍ ... بَـرَاءٌ إِلَيْنَـا مِـنْ مَعَقَّـةِ خَـاذِلِ[3]
وَهَنَّا لَهُمْ حَتَّـى تَبَـدَّدَ جَمْعُهُـمْ ... وَيَحْسُرَ عَنَّـا كُـلَّ بَـاغٍ وَجَاهِـلِ
وَكَانَ لَنَا حَوْضُ الـسِّقَايَةِ فِـيْهِمُ ... وَنَحْنُ الْكُدَى مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِـلِ[1]

(١) الطمل: الرجل الفاحش.

(٢) الحلاحل: السيد الشجاع.

(٣) المَعقة: العقوق.

شَبَابٌ مِــنْ الْمُطَيِّبِــيْنَ وَهَاشِــمٍ ... كَبِيْضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الــصَّيَاقِلِ
فَمَا أَدْرَكُوا ذَحْلاً وَلَا سَفَكُوْا دَمًــا ... وَلَا حَــالَفُوْا إِلَّا شِــرَارَ الْقَبَائِــلِ
بِضَرْبٍ تَرَى الْفِتْيَانَ فِيْــهِ كَــأَنَّهُمْ ... ضَوَارِيْ أُسُوْدٍ فَوْقَ لَحْمٍ خَــرَادِلِ[٢]
بَنِــيْ أَمَــةٍ مَحْبُوبَــةٍ هِنْدِكِيَّــةٍ ... بنَيْ جُمُحَ عُبَيْدِ قَــيْسِ بْــنِ عَاقِــلِ
وَلَكِنَّنَــا نَــسْلٌ كِــرَامٌ لِــسَادَةٍ ... بِهِمْ نُعِيَ الْأَقْــوَامُ عِنْــدَ الْبَوَاطِــلِ
وَنِعْمَ ٱبْنِ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرَ مُكَذِّبٍ ... زُهَيْرٌ حُسَامًا مُفْــرَدًا مِــنْ حَمَائِــلِ
أَشَمَّ مِنَ الــشَّمِّ الْبَهَالِيْــلِ يَنْتَمِــيْ ... إِلَى حَسَبٍ فِيْ حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ[٣]
لَعَمْرِيْ لَقَدْ كُلِّفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَــدٍ ... وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِــلِ[٤]
فَلَا زَالَ فِيْ الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَــا ... وَزِينَــا لِمَــنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَــشَاكِلِ
فَمَنْ مِثْلُهُ فِيْ النَّــاسِ أَيُّ مُؤَمَّــلٍ ... إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّــامُ عِنْــدَ التَّفَاضُــلِ
حَلِيْمٌ رَشِيْدٌ عَادِلٌ غَيْــرُ طَــائِشٍ ... يُوَالِيْ إِلَاهًــا لَــيْسَ عَنْــهُ بِغَافِــلِ
فَــوَاللهِ لَــوْلَا أَنْ أَجِــيءَ بِــسُبَّةٍ ... تَجُرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِــيْ الْمَحَافِــلِ
لَكِنَّا ٱتَّبَعْنَــاهُ عَلَــى كُــلِّ حَالَــةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَــوْلِ التَّهَــازُلِ
لَقَدْ عَلِمُــوْا أَنَّ ٱبْنَنَــا لَا مُكَــذَّبٌ ... لَــدَيْنَا وَلَا يُعْنَــى بِقَــوْلِ الْأَبَاطِــلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحْمَــدٌ فِــيْ أَرُوْمَــةٍ ... تُقَــصِّرُ عَنْــهُ سَــوْرَةُ الْمُتَطَــاوِلِ[٥]

(١) الكُدَى: جمع كدية، وهي الصخرة العظيمة. والكواهل: جمع كاهل، وهو سند القوم.
(٢) الخرادل: قطع من اللحم.
(٣) البهاليل: جمع بهلول وهو الرجل الضحاك وقيل: الحي الكريم.
(٤) كُلِّفت: مبالغة كلفت إذا أحببته وأولعت به.
(٥) الأَرومة: الأصل. السورَة: السطوة والاعتداء.

حَدِبْتُ بِنَفْسِيْ دُونَهُ وَحَمَيْتُهُ وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذَّرَا وَالْكَلَاكِلِ[١]

فَأَيَّدَهُ رَبُّ الْعِبَادِ بِنَصْرِهِ وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّهُ غَيْرُ بَاطِلِ

رِجَالٌ كِرَامٌ غَيْرُ مِيْلٍ نَمَاهُمْ إِلَى الْخَيْرِ آبَاءٌ كِرَامُ الْمَحَاصِلِ

فَإِنْ تَكُ كَعْبٌ مِنْ لُؤَيٍّ صُقَيْبَةً فَلَا بُدَّ يَوْمًا مَرَّةً مِنْ تَزَايُلِ

قَالَ ٱبْنُ هِشَامٍ : هَذَا مَا صَحَّ لِي مِنْ هَذِهِ الْقَصِيدَة ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالشِّعْرِ يُنْكِرُ أَكْثَرَهَا[٢].

ثم ذكر ٱبن هشام بعد القصيدة بيان الأسماء التي وردت في القصيدة، فقال بعد ذكرهم: ((فَهَؤُلَاءِ الَّذِيْنَ عَدَّدَ أَبُوْ طَالِبٍ فِيْ شِعْرِهِ مِنَ الْعَرَبِ))[٣].

إنَّ هذه القصيدة من عيون شعر أبي طالب عليه السلام في نصرته النبي صلى الله عليه وآله وسلم[٤]، والتي تحتاج إلى شروح مفصلة تبيِّن جوانبها الأدبية المختلفة، فضلًا عمَّا تضمنته من موضوعات تاريخية وٱجتماعية وعقائدية[٥]، وفيها مواقف متعددة يمكن بيان ما يأتي منها:

---

(١) حدبت: عطفت. والذرا: أعالي الشيء. والكلاكل: جمع كلكل أي الصدر.

(٢) السيرة النبوية ١/٣٠٥-٣١١.

(٣) للتفصيل ينظر: المصدر نفسه ١/٣١٢-٣١٣.

(٤) وعلى سبيل المثال قال ٱبن كثير بعد ذكره للقصيدة كما وردت في سيرة ٱبن هشام: ((قُلْتُ: هَذِهِ قَصِيْدَةٌ عَظِيْمَةٌ بَلِيْغَةٌ جِدًّا لَا يَسْتَطِيْعُ يَقُوْلُهَا إِلَّا مَنْ نُسِبَتْ إِلَيْهِ، وَهِيَ أَفْحَلُ مِنَ الْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ، وَأَبْلَغُ فِيْ تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى فِيْهَا جَمِيْعًا)) البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر ج٣ ص٥٧.

(٥) وسيتم بيان تلك المؤلفات في الملحق.

١ - إنَّ في النص بيان تام على موقف أبي طالب عليه السلام في نصرته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وتحديه لقومه المعاندين للنبي والرسالة، والتأكيد على نصرته للنبي وعدم السماح لهم بالوصول إليه بأي صورة من صور الأذى، بل يدافع عنه حتى الموت فيخبرهم (أَنَّهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ رَسُوْلَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) وَلَا تَارِكُهُ لِشَيْءٍ أَبَدًا حَتَّى يَهْلَكَ دُونَهُ)، وفي ذلك كمال نصرة نبي الله تعالى وما جاء به، ولو كان أبو طالب على غير ذلك لما تحمَّل هذا الأذى والمواجهات مع أقرب الناس إليه من قومه، والنبي قد بلغ من العمر ما لا يحتاج إلى كافل له.

٢ - لقد أكَّد أبو طالب على موقفه الراسخ تجاه النبي ورسالته في هذه القصيدة من خلال أبيات متعددة، لا يمكن تفسيرها بغير ذلك، ومنها:

يقول في تهيؤه للقتل والقتال دفاعًا عن النبي، والتصريح بذلك من جهة، وتهديدهم من جهة أخرى، فضلًا عن بيانه لشجاعته وعزيمته في ذلك بعد أنْ أظهروا العداوة من خلال تعاضدهم مع أتباعهم.

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِيْ بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ الْمَقَاوِلِ
وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِيْ وَإِخْوَتِي وَأَمْسَكْت مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
وَحَيْثُ يُنِيْخُ الْأَشْعَرُوْنَ رِكَابَهُمْ بِمَفْضَى السُّيُوْلِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ

ثم يقول بعدما يبيِّن ما يؤمن به من شعائر الله تعالى في مناسك الحج المقدسة وما يتعلق بها، وتحالف الأقوام ضدهم، وتذكيرهم بتلك المشاعر التي يستعيذون بها عند الشدائد، يصرِّح بكل إباء وعقيدة في الدفاع عن نبي الله

تعالى، والتأكيد على الموت دونه ونصرته إلى آخر العمر، ويستنهض المؤمنين المقربين للدفاع عنه:

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا نُطَاعِنْ دُونَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلَائِلِ
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِيْ الْحَدِيْدِ إِلَيْكُمُ نُهُوْضَ الرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ

بل نراه عليه السلام يتفانى في دفاعه ونصرته، ويهددهم بأقسى أنواع التهديد، وأنه لا يكون منه تجاههم إلا الحرب الضروس والوقائع الشديدة من أجل عقيدته التي يؤمن بها مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فلا يخشى أحدًا منهم على رغم بلوغه من العمر، فيقول متوعِّدًا إياهم:

وَإِنَّا -لَعَمْرُ اللهِ- إِنْ جَدَّ مَا أَرَى لَتَلْتَبِسَنَّ أَسْيَافُنَا بِالْأَمَاثِلِ
بِكَفَّيْ فَتًى مِثْلَ الشِّهَابِ سَمَيْدَعٍ كَأَخِيْ ثِقَةٍ حَامِيْ الْحَقِيْقَةِ بَاسِلِ
شُهُوْرًا وَأَيَّامًا وَحَوْلًا مُجَرَّمًا عَلَيْنَا وَتَأْتِيْ حَجَّةٌ بَعْدَ قَابِلِ

فما يصدر منه في ذلك لم يصدر من أحد من المسلمين الأوائل الذين آمنوا بالنبي ورسالته، بل كانوا من المستضعفين، ولكن أبا طالب لمقامه بين الأقوام، وشجاعته وبأسه وعقيدته التامة بصدق دعوى النبي، ويقينه بنصرة الله تعالى لنبيه في آخر المطاف كان يقول ويعمل على أساس ذلك، وقد عَرِف المشركون صدق ذلك، وأنهم لا يمكنهم إيذاء النبي بأي سوء ما دام ناصره معه لا يفارقه طرفة عين أبدًا، بل يتوعد كُلَّ من يفكر بذلك، فضلًا عن إيمانه بوجوب حفظه والدفاع عنه.

ثم يعرِّج على واقعة تاريخية يعرفها الناس كلهم في دلالة مقام النبي عند الله تعالى وكرامته، عندما ٱستسقى به جده عبد المطلب[1]، وكأنه يريد تذكيرهم بمقامه ﷺ يوم كان وليدًا، ومقامه بعد أن بعثه الله نبيًّا لهداية البشرية، والدعوة إلى توحيد الله ونبذ الشرك والأصنام، فيقول في ذلك أعظم قوله:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

يَلُوذُ بِهِ الْهُلَّافُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِيْ رَحْمَةٍ وَفَوَاضِلِ

ثم يؤكد لقومه مدى عداء بعض للنبي وآله الذين تبعوه وآمنوا به، من حيث تحريض الآخرين عليهم، بل ويدعوهم إلى أنْ يرجعوا إلى فضلهم بين الناس ومقامهم، وعدم التسليم لتلك الدعوات التي تدعو لقتالهم بسبب إيمانهم بدعوة النبي فيقول لهم في بيان بعض ذلك التحريض:

لَعَمْرِيْ لَقَدْ أَجْرَى أُسَيْدٌ وَبِكْرُهُ إِلَى بُغْضِنَا وَجَزَّآنَا لِآكِلِ

---

(١) فقد روي أنَّ جد النبي عبد المطلب قد ٱستشقى برسول الله عندما كان صغيرًا، فأنزل الله تعالى عليهم المطر ببركات رسول الله ﷺ، قال السهيلي تعقيبًا على هذا البيت: ((فَإِنْ قِيلَ: كَيْفَ قَالَ أَبُو طَالِبٍ: وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ. وَلَمْ يره قط ٱستسقى، وإِنَّما كانَتِ ٱستسقاآته عليه السلام بِالْمَدِينَةِ فِي سَفَرٍ وَحَضَرٍ، وَفِيهَا شُوهِدَ مَا كَانَ مِنْ سُرْعَةِ إِجَابَةِ الله لَهُ. فَالْجَوَابُ: أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَدْ شَاهَدَ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا فِي حَيَاةِ عَبْدِ الْمُطّلِبِ مَا دَلَّهُ عَلَى مَا قَالَ .... فَقَامَ عَبْدُ الْمُطّلِبِ، فَاعْتَضَدَ ٱبْنَ ٱبْنِهِ مُحَمّدًا -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّمَ- فَرَفَعَهُ عَلَى عَاتِقِهِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ غُلَامٌ قَدْ أَيْفَعَ، أَوْ قَدْ كَرَبَ، ثُمّ قَالَ: اللهُمَّ سَادَّ الْخَلَّةِ وكَاشِفَ الْكُرْبَةِ، أَنْتَ عَالِمٌ غَيْرُ مُعَلَّمٍ، وَمَسْئُولٌ غَيْرُ مُبَخَّل .... فَمَا رَامُوا وَالْبَيْتِ حَتَّى ٱنْفَجَرَتْ السمَاءُ بِمَائِهَا، وَكَظَّ الوَادِي بِثَجِيجِهِ)). ٢/١٠٤-١٠٥.

ثم يسترسل في بيان مواقف بعض أولئك، ويفضح أعمالهم في العداء للرسالة؛ لتبقى هذه الأبيات وثيقة تاريخية شاهدة عليهم للأجيال، وفي ذلك بيان لشجاعتها، وأنه لا يخاف في الله لومة لائم حيث يذكرهم بأسمائهم، وما يقومون به من أعمال ودسائس، فيقول في بعضها:

أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنَا كُلَّ تَلْعَةٍ ... مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشُبٍ فَمُجَادِلِ

وَسَائِلْ أَبَا الْوَلِيْدِ مَاذَا حَبَوْتَنَا ... بِسَعْيِكَ فِيْنَا مُعْرِضًا كَالْمُخَاتِلِ

وبعد أبيات متعددة في بيان تلك المواقف، يعرِّج على نصحهم من أولئك الأعداء:

فَعَتْبُهُ لَا تَسْمَعَ ْبناَ قَوْلَ كَاشِحٍ ... حَسُودٍ كَذُوْبٍ مُبْغِضٍ ذِيْ دَغَاوِلِ

وتذكيرهم بمواقفه تجاههم، وعدم الغرور بتلك الوعود فمآلها الخذلان؛ لأنها في محاربة الله ونبيه، فيخاطب بعضهم بكُلِّ أسًى في روائع من أبياته فيقول:

أَمُطْعِمُ لَمْ أَخْذُلْكَ فِيْ يَوْمِ نَجْدَةٍ ... وَلَا مُعْظِمٍ عِنْدَ الْأُمُوْرِ الْجَلَائِلِ

وَلَا يَوْمَ خَصْمٍ إِذَا أَتَوْكَ أَلِدَّةً ... أُوْلِيْ جَدَلٍ مِنَ الْخُصُوْمِ الْمَسَاجِلِ

أَمُطْعِمُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوْكَ خُطَّةً ... وَإِنِّيْ مَتَى أُوْكَلْ فَلَسْتُ بِوَائِلِ

ثم يخاطب أقرب الناس من قومه (عبد مناف) الذين كانت لهم الريادة في الخير والبر، واليوم قد تجمَّعوا لمحاربة بني عبد المطلب الذين بسبب إيمانهم ودفاعهم عن رسول الله، فيقول لهم:

فَعَبْدُ مَنَافٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ ... فَلَا تُشْرِكُوْا فِيْ أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاغِلِ

لَعَمْرِيْ لَقَدْ وَهَنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ ... وَجِئْتُمْ بِأَمْرٍ مُخْطِئٍ لِلْمَفَاصِلِ

وَكُنْتُمْ حَدِيْثًا حَطْبَ قِدْرٍ وَأَنْتُمْ ... الْآنَ حَطَابُ أَقْدُرٍ وَمَرَاجِلِ

لِيَهْنِئْ بَنِيْ عَبْدِ مَنَــافٍ عُقُوقُنَــا وَخِذْلَانُنَا وَتَرْكُنَا فِــيْ الْمَعَاقِــلِ

ومن أعظم ما ورد عنه عليه السلام في ٱستشراف مستقبل هذه الدعوة الإلهية، ووعد الله بالنصر والتأييد لأتباعها، وخذلان الأعداء حيث يقول:

فَأَبْلِغْ قُصَيًّا أَنْ سَيُنْــشَرُ أَمْرُنَــا وَبَشِّرْ قُــصَيًّا بَعْــدَنَا بِالتَّخَــاذُلِ

فكان الأمر كما قال، فما هي إلا سنوات حيث كان مآل الناس تجاه دعوة النبي التي ٱبتدأت به وبأبي طالب والثلة من قومه لتكون كما قال تعالى: ﴿إِذَا جَــاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾[1].

ثم يصدح ببلاغته وفصاحته في بيان صفات النبي الذي يدعوهم إلى توحيــد الله، والذي قد تحملوا بسبب دعوته كل هذا العداء، وتلــك المحــن والآلام والتشريد والحصار، فيقول فيه ما عجز أنْ يصدح به أحد يومذاك، إلا أبو طالب ناصر النبي الأول فيقول لهم متهكمًا:

لَعَمْرِيْ لَقَدْ كُلِّفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدٍ وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِــلِ

فَلَا زَالَ فِيْ الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا وَزِينًا لِمَنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَــشَاكِلِ

فَمَنْ مِثْلُهُ فِيْ النَّاسِ أَيُّ مُؤَمَّــلٍ إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُــلِ

حَلِيْمٌ رَشِيْدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَــائِشٍ يُوَالِيْ إِلَاهًا لَــيْسَ عَنْــهُ بِغَافِــلِ

فأي بيان في دلالة صريحة على الاعتراف بحمد ودينه والتفاخر بهما من هذا، لله درك أبا طالب من مدافع عن دين الله تعالى ونصرة نبيه، ثم يؤكد ذلــك في

(١) سورة النصر: الآيتان ١-٢.

ختام قصيدته؛ لتبقى عالقة في أذهانهم هذه المواقف، وما دعاهم إليه من خير الدنيا والآخرة، وما سيؤول إليه أمر الرسالة، فيقول:

لَقَدْ عَلِمُوْا أَنَّ ٱبْنَنَا لَا مُكَـذَّبٌ ... لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَـوْلِ الْأَبَاطِـلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحَمْدٌ فِـيْ أَرُوْمَـةٍ ... تُقَصِّرُ عَنْـهُ سَـوْرَةُ الْمُتَطَـاوِلِ
حَدِبْتُ بِنَفْسِيْ دُونَـهُ وَحَمَيْتُـهُ ... وَدَافَعْتُ عَنْهُ بِالذَّرَا وَالْكَلَاكِـلِ
فَأَيَّـدَهُ رَبُّ الْعِبَـادِ بِنَـصْرِهِ ... وَأَظْهَرَ دِينًا حَقُّـهُ غَيْـرُ بَاطِـلِ

ولكن مما يستغرب بعد كل هذا الاعتراف والإذعان من أبي طالب عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبيان مقامه والدفاع عنه، وتحمل كل تلك الشدائد نرى أنْ تذكر في القصيدة بيتان يخالفان كل ما تقدم من خوف أبي طالب (السُّبَّة) من آتباع النبي، فلا تخفى تلك المفارقة بين هذا القول والمواقف التي تقدمت، وسوف أبيِّن ما يتعلق بهذا الأمر في مورد سيأتي.

أقول: إنَّ كُلَّ هذا البيان والتصريح والتأكيد والدعوة والدفاع إذا كان لا يدل على عظمة إيمانه لدى الباحث، فعلى ماذا يدل؟!

هل سنبقى نردد مقولات المعاندين أنَّ هذه المواقف هي تؤكد على نصرته والدفاع عن آبن أخيه لكفالته إياه حصرًا؟!

وهل يصدِّق إنسان ذو عقل سليم، وقلب خال من كل حقد أنَّ إنسانًا عظيمًا ذا شرف في قومه يتحمل كُلَّ ذلك في الدفاع عن آخر يكفِّر عقيدته؛ لمجرد صلة رحم بينهما، من دون الإيمان والعقيدة الراسخة القائمة على حق اليقين بصدق الدعوة والداعي!!

فلو لم يكن لأبي طالب من كلمات ومواقف وأشعار سجَّلها لنا التاريخ إلا هذه القصيدة لكفى بها شاهدًا على الجهر بدينه وعقيدته وإيمانه بالله تعالى ورسالته!!

ولو كانت هذه القصيدة قد صدرت من واحد من آباء أولئك المعادين لأهل البيت عليهم السلام لقيل فيهم ما لا تجمعه مجلدات ومجلدات[1]، ولكن شاء لعلي بن أبي طالب عليه السلام أنْ يدفع ثمن جهاده ودفاعه عن الشريعة المقدسة منذ نعومة أظفاره إلى شهادته؛ لعدم رضوخه للباطل ودعواته في إبعاد أمر الإمامة عن أهلها!!

بل يتعدى الأمر إلى أهل بيته فيصيبهم من المصائب شتى!!

ثم يتعدى ليشمل كل شيعته في شرق الأرض وغربها!!

ثم ليكون التوجه إلى أبيه أبي طالب الذي حفظ لنا التاريخ مواقفه بحروف من نور!!

بل لتكون النتيجة الأموية التي تم التأسيس لها أنَّ أبا سفيان من الصحابة المؤمنين، وأبا طالب من الذين ماتوا على غير دين!!

ولنعم ما ينطبق عليهم المثل السائر على القوم (رَمَتْنِيْ بِدَائِهَا وَٱنْسَلَّتْ).

---

(١) قال الشيخ الأميني: ((أنا لا أدري كيف تكون الشهادة والاعتراف بالنبوة إنْ لم يكن منها هذه الأساليب المتنوعة المذكورة في هذه الأشعار؟ ولو وُجِد واحد منها في شعر أي أحد أو نثره لأصفق الكُلُّ على إسلامه، لكن جميعها لا يدل على إسلام أبي طالب. فاعجب وتدبر)). ٧/٤٦٠

- المورد التاسع: شعر أبي طالب للنجاشي.

فَقَالَ أَبُوْ طَالِبٍ حِيْنَ رَأَى ذَلِكَ[1] فِي رَأْيِهِمْ وَمَا بَعَثُوْهُمَا فِيْهِ أَبْيَاتًا:

أَلَا لَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ فِيْ النَّأْيِ جَعْفَرٌ وَعَمْرٌوْ وَأَعْدَاءُ الْعَدُوِّ الْأَقَارِبُ

وَهَلْ نَالَتْ أَفْعَالُ النَّجَاشِيِّ جَعْفَرًا وَأَصْحَابَهُ أَوْ عَاقَ ذَلِكَ شَاغِبُ

تَعَلَّمْ، أَبَيْتَ اللَّعْنَ، أَنَّك مَاجِدٌ كَرِيْمٌ فَلَا يَشْقَى لَدَيْك الْمُجَانِبُ

تَعَلَّمْ بِأَنَّ اللهَ زَادَكَ بَسْطَةً وَأَسْبَابَ خَيْرٍ كُلَّهَا بِكَ لَازِبُ

وَأَنَّك فَيْضٌ ذُوْ سِجَالٍ غَزِيْرَةٍ يَنَالُ الْأَعَادِيْ نَفْعَهَا وَالْأَقَارِبُ[2]

إنَّ هذا الموقف لأبي طالب عليه السلام فيه دلالة واضحة في دفاعه عن الإسلام والمسلمين، وبيان ذلك للآخرين، والجهر به وعدم الخشية؛ لعقيدته الراسخة بوجوب نصرة المسلمين في هذه المرحلة الصعبة التي هم عليها، وشراسة أعدائهم في اتخاذ حميع السبل من أجل القضاء عليهم، فتأمل في قولهم ((فَيَرُدُّهُمْ [النجاشي] عَلَيْهِمْ لِيَفْتِنُوْهُمْ فِيْ دِينِهِمْ وَيُخْرِجُوْهُمْ مِنْ دَارِهِمْ الَّتِي اطْمَأَنّوا بِهَا وَأَمِنُوا فِيْهَا))، وفي ذلك بيان مدى العداء الذي كان يظهره

---

(١) إشارة إلى الموضوع السابق حيث ورد تحت عنوان (إرْسَالُ قُرَيْشٍ إلَى الْحَبَشَةِ فِي طَلَبِ الْمُهَاجِرِينَ إلَيْهَا): ((قَالَ ابْنُ إسْحَاقَ : فَلَمّا رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنّ أَصْحَابَ رَسُولِ الله "صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلّمَ" قَدْ أَمِنُوا وَاطْمَأَنّوا بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَأَنّهُمْ قَدْ أَصَابُوا بِهَا دَارًا وَقَرَارًا، ائْتَمَرُوا بَيْنَهُمْ أَنّ يَبْعَثُوا فِيهِمْ مِنْهُمْ رَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ جَلْدَيْنِ إلَى النَّجَاشِيِّ، فَيَرُدُّهُمْ عَلَيْهِمْ لِيَفْتِنُوْهُمْ فِيْ دِينِهِمْ وَيُخْرِجُوْهُمْ مِنْ دَارِهِمْ الَّتِي اطْمَأَنّوا بِهَا وَأَمِنُوا فِيْهَا، فَبَعَثُوا عَبْدَ الله بْنَ أَبِيْ رَبِيْعَةَ ، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ وَجَمَعُوْا لَهُمَا هَدَايَا لِلنَّجَاشِيِّ وَلِبَطَارِقَتِهِ ثُمَّ بَعَثُوْهُمَا إلَيْهِ فِيْهِمْ)) السيرة النبوية ١/٣٦٠.

(٢) المصدر نفسه ١/٣٦٠.

القوم للنبي ومن آمن معه، حيث يلاحقونهم ويتتبعون آثارهم، وفي مقابل ذلك فلننظر إلى مدى خشية أبي طالب على المسلمين من أولئك الأعداء ومكرهم وحقدهم على الإسلام، فيفتتح مقطوعته الشعرية بالتمني والحسرة على حال ولده جعفر وما يقوم به من مسؤولية عظيمة في البحث عن مكان بعيدًا عن مكة يأويهم؛ ويكونوا في أمان من قريش وغيرهم، فأبو طالب عليه السلام يصرِّح بمدى تأثره بما يصيب المسلمين من أذًى، وليس خشيته على ولده جعفر من جهة عاطفة الأب تجاه ابنه!!

أَلَا لَيْتَ شِعْرِيْ كَيْفَ فِيْ النَّأْيِ جَعْفَرٌ وَعَمْرٌوْ وَأَعْدَاءُ الْعَدُوِّ الْأَقَارِبُ

ثم يؤكد حرصه في نصرتهم والحفاظ عليهم من سعي المشركين لدى النجاشي في رد دعوتهم، إذ يقول بأسًى وحرص شديدين ما يدل على عقيدته الراسخة، وما يتأمله من كرم وحكمة النجاشي، ولكنه في الوقت نفسه يظهر خشيته لوجود ذلك المخادع الماكر عمرو بن العاص في وفد المشركين، وما كان يتمتع به من مكر ودهاء خشية الوقيعة بالمسلمين، أو الحيلولة دون تحقيق ما يدعون إليه:

وَهَلْ نَالَتْ أَفْعَالُ النَّجَاشِيِّ جَعْفَرًا وَأَصْحَابَهُ أَوْ عَاقَ ذَلِكَ شَاغِبُ

وقد ذكر الحاكم النيسابوري أبياتًا إلى النجاشي غير ما تقدم يحضهم على حسن جوارهم والدفع عنهم فقال:

لِيَعْلَمْ خِيَارُ النَّاسِ أَنَّ مُحَمَّدًا وَزِيرٌ لِمُوْسَى والمْسَيحِ ابْنِ مَرْيَمْ

أَتَانَا بِهَدْيٍ مِثْلَ مَا أَتَيَا بِهِ فَكُلٌّ بِأَمْرِ اللهِ يَهْدِيْ وَيَعْصِمْ

وَأَنَّكُـــمْ تَتْلُوْنَـــهُ فِـــيْ كِتَـــابِكُمْ بِصِدْقِ حَدِيْثٍ لَا حَدِيْثَ الْمُبَرْجِمْ[١]

وَإِنَّكَ مَا تَأْتِيْكَ مِنْهَـــا عِـــصَابَةٌ بِفَـــضْلِكَ إِلَّا أُرْجِعُـــوْا بِـــالتَّكَرُّمْ[٢]

(١) البرجمة: غلظ الكلام. لسان العرب مادة (برجم)

(٢) المستدرك على الصحيحين، محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ٢/٦٨٠.

- المورد العاشر: شعر أبي طالب في تظاهر قريش.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ : فَلَمَّا ٱجْتَمَعَتْ عَلَى ذَلِكَ قُرَيْشٌ، وَصَنَعُوْا فِيْهِ الَّذِيْ صَنَعُوْا، قَالَ أَبُوْ طَالِبٍ:

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّيْ عَلَــى ذَاتِ بَيْنِنَــا ... لُؤَيًّا وَخُصَّا مِنْ لُــؤَيٍّ بَنِــيْ كَعْــبِ

أَلَمْ تَعْلَمُوْا أَنَّا وَجَــدْنَا مُحَمَّــدًا ... نَبِيًّا كَمُوسَى خُــطَّ فِــيْ أَوَّلِ الْكُتُــبِ

وَأَنَّ عَلَيْــهِ فِــيْ الْعِبَــادِ مَحَبَّــةً ... وَلَا خَيْرَ مِمَّــنْ خَــصَّهُ اللهُ بِالْحُــبِّ

وَأَنَّ الَّذِيْ أَلْصَقْتُمْ مِنْ كِتَــابِكُمْ ... لَكُمْ كَائِنٌ نَحْــسًا كَرَاغِيَــةِ الــسَّقْبِ

أَفِيْقُوْا أَفِيْقُوْا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى ... وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذِيْ الذَّنْبِ

وَلَا تَتْبَعُوْا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُــوْا ... أَوَاصِــرَنَا بَعْــدَ الْمَــوَدَّةِ وَالْقُــرْبِ

وَتَسْتَجْلِبُوْا حَرْبًا عَوَانًــا وَرُبَّمَــا ... أَمَرَّ عَلَى مَنْ ذَاقَــهُ جَلَــبُ الْحَــرْبِ

فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسْلِمُ أَحْمَــدًا ... لِعَزَّاءِ مَنْ عَــضَّ الزَّمَــانُ وَلَا كَــرْبِ

وَلَمَّا تَبِنْ مِنَّا وَمِــنْكُمْ سَــوَالِفُ ... وَأَيْــدٍ أُتِــرَّتْ بِالْقَــسَاسِيَّةِ الــشَّهْبِ

بِمُعْتَرَكٍ ضَيْقٍ تَرَى كِــسْرَ الْقَنَــا ... بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكُفْنَ كَالــشُّرْبِ

كَأَنَّ مُجَالَ الْخَيْلِ فِيْ حَجَرَاتِــهِ ... وَمَعْمَعَةَ الْأَبْطَــالِ مَعْرَكَــةُ الْحَــرْبِ

أَلَيْسَ أَبُوْنَــا هَاشِــمٌ شَــدَّ أَزْرَهُ ... وَأَوْصَى بَنِيْــهِ بِالطِّعَــانِ وَبِالــضَّرْبِ

وَلَسْنَا نَمَلُّ الْحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَــا ... وَلَا نَشْتَكِيْ مَا قَدْ يَنُوْبُ مِــنَ النَّكْــبِ

وَلَكِنَّنَا أَهْلُ الْحَفَــائِظِ وَالنُّهَــى ... إِذَا طَارَ أَرْوَاحُ الْكُمَاةِ مِــنَ الرُّعْــبِ[1]

(١) السيرة النبوية ٢/٧-٨ .

فَأَقَامُوْا عَلَى ذَلِكَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، حَتَّى جَهَدُوْا لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ إلا سِرًّا مُسْتَخْفِيًا بِهِ مَنْ أَرَادَ صِلَتَهُمْ مِنْ قُرَيْشٍ .

إنَّ في النص الشعري دلالات مهمة يجب على الباحث التأمل فيها، نذكر منها:

١- إنَّ مشاركة أبي طالب عليه السلام النبي صلى الله عليه وآله وسلم الحصار في الشِّعْب، ومساندته له على ما كان عليه لدلالة جلية على إيمانه برسول الله وما يدعو الناس إليه، وإصراره في الدفاع عنه حتى يبلِّغ رسالة الله تعالى في الأمة، وإنَّ وجوده إلى جانب النبي فيه من الطمأنينة والأمان له، فلا يخاف ولا يخشى أحدًا، بل يبقى صابرًا مجاهدًا في الله.

٢- إنَّ مشاركته عليه السلام كذلك تدل على عقيدته الراسخة في دين الله تعالى، فينطبق عليه تمامًا القول: (أَشْهَدُ أَنَّكَ جَاهَدْتَ فِيْ اللهِ حَتَّى أَتَاكَ الْيَقِيْنُ)، فلو كان على غير هذا الدين لَمَا تحمَّل مشقة هذه المعاناة في حصار المشركين له، وهو على ما هو عليه من الشيخوخة، إنما ليؤكِّد للأعداء مدى قوته في نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بل ليضرب أروع الأمثلة في الدفاع عن الشريعة المقدسة، ويسجل ذلك الموقف الخالد في الدفاع عن النبي ومناصرته ومواساته.

٣- لقد أعلن أبو طالب عليه السلام مدى قناعته بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ونصر الله تعالى له، وأنه نبي مبعوث من قبل الله تعالى إلى قومه، كما بعث الأنبياء الذين سبقوه، ومنهم موسى عليه السلام، ووجوب مساندته والوقوف بوجه أعدائه، مهما بلغت عِدَّتهم وعددهم، وهو يصرِّح في أشعاره المتكررة هذا المعنى، فقال مخاطبًا صحيفة المشركين المشؤومة التي تعاهدوا على مقاطعة النبي وأنصاره:

أَلَمْ تَعْلَمُوْا أَنَّا وَجَـدْنَا مُحَمَّـدًا نَبِيًّا كَمُوسَى خُطَّ فِـيْ أَوَّلِ الْكُتُـبِ
وَأَنَّ عَلَيْـهِ فِـيْ الْعِبَـادِ مَحَبَّـةً وَلَا خَيْرَ مِمَّـنْ خَـصَّهُ اللهُ بِالْحُـبِّ

فكلامه ظاهر في ٱطلاعه على سيرة الأنبياء الذين بعثهم الله تعالى إلى أقوامهم، فهو يشبِّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بنبي الله موسى عليه السلام، فهل يمكن أنْ يشبهه بذلك وهو غير مؤمن بما يدعو إليه!!

بل يؤكد مدى تسديد الله تعالى لنبيه، ومدى محبة الناس له، بما ألقى في قلوبهم محبته، وهل يقول مثل هذا القول من لا يصدق بعقيدته التي يصدح فيها!! (١)

٤- إنَّ أبا طالب عليه السلام لم يؤمن برسالة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إيمان غيره من المسلمين الأوائل، وإنما كان من أعظم الدعاة إلى الإيمان به، وهذا ما نراه في كثير من النصوص التي تتضمن ذلك المعنى صراحة، وقد تقدم بعضها، وفي هذه

---

(١) قال السيد فخار بن معاد الموسوي في كتابه تعليقًا على هذه الأبيات ما يأتي: ((ٱنظر إلى هذا الإقرار الصريح من أبي طالب رحمه الله بأنَّ محمدًا نبي كموسى خط في أو الكتب، فهذا البيت يدل على إيمانه من وجوه: مها إيمانه بنبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم. ومنها إيمانه بكتب الله تعالى التي لا يعرفها إلا المؤمنون. ومنها معرفته بموسى بن عمران عليه السلام وقوله لا حيف فيمن خصه الله بالحب يريد بالنبوة منه والاختيار، وهذا الشعر إذا تأمله المنصف رآه محض الإقرار بالنبوة، والاعتراف بالرسالة)). الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص٤٠-٤١.

وقال أحمد زيني دحلان بعد ذكره للبيت الأول: ((وهذا البيت من قصيدة طويلة لأبي طالب قالها في زمن محاصرة قريش لهم في الشِّعب، وهي قصيدة طويلة بليغة غراء تدل على غاية محبته للنبي "صلى الله عليه [وآله] وسلم"، وعلى التصديق بنبوته، وشدة حمايته له، والذب عنه)). أسنى المطالب في نجاة أبي طالب ص١٧.

القصيدة نراه يدعو الآخرين إلى التأمل بدعوة النبي، ويتحداهم بنصر الله تعالى لدينه، فيقول في بيان ذلك:

أَلَا أَبْلِغَا عَنِّيْ عَلَــى ذَاتِ بَيْنِنَــا لُؤَيًّا وَخُصَّا مِنْ لُؤَيٍّ بَنِــيْ كَعْــبِ

وقد ٱبتدأ البيت بالحرف (أَلا) الــذي يفيــد في هــذا الموضــع العــرض والتحضيض[1]، وعلى أيٍّ منهم فهو يدعوهم ويتحداهم بقوله:

أَلَمْ تَعْلَمُوْا أَنَّا وَجَــدْنَا مُحَمَّــدًا نَبِيًّا كَمُوسَى خُطَّ فِيْ أَوَّلِ الْكُتُــبِ

وهذا لا يكون إلا لمن هو يقين من عقيدته التي هو عليها، وخصوصًا مثل أبي طالب الذي كان على قدر عظيم من الحكمة، فصدور طلبه إلى كبار قومه دليل على كونه على الحق، فيدعو الآخرين إلى الإيمان بالنبي ونصرته.

٥- إنَّ المتأمل في أبيات القصيدة يرى تدرج أبو طالب عليه السلام في نصرته رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والدعوة لنصرته، والإيمان بدعوته، فقد ٱبتدأ كلامه في العــرض والتحضيض على الإيمان بالنبي، ثم ٱنتقل للإعلان عن نبوتــه عــلى القــوم، ومشاركته للأنبياء السابقين في دعوته للتوحيد والإيمان بالله تعالى، وذكر لهم واحدًا من أولي العزم وهو موسى عليه السلام، ثم أكَّد شدة تمسكه بــالنبي وعــدم خذلانه له مهما بلغت عداوة قريش وغيرهم له، ومهما بذلوا من قوة في سبيل ذلك، فقال:

فَلَسْنَا وَرَبِّ الْبَيْتِ نُسْلِمُ أَحْمَــدًا لِعَزَّاءِ مَنْ عَضَّ الزَّمَانُ وَلَا كَرْبِ

(١) قال ٱبن هشام الأنصاري: ((العرض والتحضيض، ومعناهما: طلــب الــشيء، لكــن العرض طلبٌ بلينٍ، والتحضيض طلب بِحَثٍّ، وتختص أَلا هذه بالفعلية)). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، عبد الله جمال الدين بن يوسف ٦٩/١.

وهذا تصريح منه في التمسك بالنبي في الرخاء والشدة، والمداومة على ذلك، وعدم التواني فيه.

بل تراه يحذرهم جميعًا من سوء عاقبة محاربتهم للنبي وأهل بيته الذين آمنوا به ونصروه، وما في ذلك من آثار سيئة كبيرة عليهم، حيث يقول لهم مؤكِّدًا ومحذرًا:

أَفِيْقُوْا أَفِيْقُوْا قَبْلَ أَنْ يُحْفَرَ الثَّرَى وَيُصْبِحَ مَنْ لَمْ يَجْنِ ذَنْبًا كَذِيْ الذَّنْبِ

ثم يعلن الحرب على الذين يريدون أدنى سوء بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم، حربًا لا هوادة فيها، يبذل فيها كُلَّ شيء من أجل نصرته، وهذا ما نراه جليًّا بقوله بما ورد من أبيات بعد البيت المتقدم:

وَلَمَّا تَبِنْ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَالِفُ وَأَيْدٍ أُتِرَّتْ بِالْقَسَاسِيَّةِ الشَّهْبِ

بِمُعْتَرَكٍ ضَيْقٍ تَرَى كِسْرَ الْقَنَا بِهِ وَالنُّسُورَ الطُّخْمَ يَعْكُفْنَ كَالشُّرْبِ

فلقد ٱستخدم لهجة خطاب أخرى عن التي سبقت تدل على تمسكه بما يؤمن، وٱستعداده للذي هو بعده من المواجهة، وإنْ بلغت ما بلغت.

أرى -حقيقة- أنَّ هذه القصيدة من روائع القصائد التي هي واضحة الدلالة في التصريح والتلويح إلى مدى عقيدة وإيمان أبي طالب عليه السلام في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وجهاده في سبيل الله تعالى، بل هو من أعظم المجاهدين الأوائل في سبيل نشر دين الله تعالى، والأمر لا يتعلق بعاطفة مجردة، بل بعقيدة ثابتة راسخة يُبذل لها كُلٌّ غالٍ ونفيس، ولا ينكرها إلا جاحد!!

- المورد الحادي عشر حديث نقض الصحيفة.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: وَبَنُوْ هَاشِمٍ وَبَنُوْ الْمُطَّلِبِ فِيْ مَنْزِلِهِمْ الَّذِي تَعَاقَدَتْ فِيْهِ قُرَيْشٌ عَلَيْهِمْ فِيْ الصَّحِيْفَةِ الَّتِيْ كَتَبُوْهَا، ثُمَّ إِنَّهُ قَامَ فِيْ نَقْضِ تِلْكَ الصَّحِيْفَةِ الَّتِيْ تَكَاتَبَتْ فِيْهَا قُرَيْشٌ عَلَى بَنِيْ هَاشِمٍ وَبَنِيْ الْمُطَّلِبِ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ ....

قَالَ ٱبْنُ هِشَامٍ : وَذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ رَسُوْلَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) قَالَ لِأَبِيْ طَالِبٍ: يَا عَمِّ إِنَّ رَبِّيَ اللهُ قَدْ سَلَّطَ الْأَرَضَةَ عَلَى صَحِيْفَةِ قُرَيْشٍ، فَلَمْ تَدَعْ فِيْهَا ٱسْمًا هُوَ لِلّهِ إِلَّا أَثْبَتَتْهُ فِيْهَا، وَنَفَتْ مِنْهُ الظُّلْمَ وَالْقَطِيْعَةَ وَالْبُهْتَانَ.

فَقَالَ: أَرَبُّك أَخْبَرَك بِهَذَا؟

قَالَ: نَعَمْ.

قَالَ: فَوَالله مَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ أَحَدٌ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى قُرَيْشٍ، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إِنَّ ٱبْنَ أَخِيْ أَخْبَرَنِيْ بِكَذَا وَكَذَا، فَهَلُمَّ صَحِيْفَتَكُمْ، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ ٱبْنُ أَخِيْ فَانْتَهُوْا عَنْ قَطِيْعَتِنَا، وَٱنْزِلُوْا عَمَّا فِيْهَا؟ وَإِنْ يَكُنْ كَاذِبًا دَفَعْتُ إِلَيْكُمْ ٱبْنَ أَخِيْ.

فَقَالَ الْقَوْمُ: رَضِيْنَا، فَتَعَاقَدُوْا عَلَى ذَلِكَ ثُمَّ نَظَرُوْا، فَإِذَا هِيَ كَمَا قَالَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) فَزَادَهُمْ ذَلِكَ شَرًّا، فَعِنْدَ ذَلِكَ صَنَعَ الرَّهْطُ مِنْ قُرَيْشٍ فِيْ نَقْضِ الصَّحِيْفَةِ مَا صَنَعُوْا.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا مُزِّقَتِ الصَّحِيْفَةُ وَبَطَلَ مَا فِيْهَا، قَالَ أَبُوْ طَالِبٍ فِيْمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أُوْلَئِكَ النَّفَرِ الَّذِيْنَ قَامُوْا فِيْ نَقْضِهَا يَمْدَحُهُمْ:

أَلَا هَلْ أَتَى بَحْرِيَّنَا[1] صُنْعُ رَبِّنَا ... عَلَى نَأْيِهِمْ وَاللهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ

فَيُخْبِرَهُمْ أَنَّ الصَّحِيْفَةَ مُزِّقَتْ ... وَأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللهُ مُفْسَدُ

---

(١) يعني بالبحريِّ الذين كانوا في أرض الحبشة وركبوا البحر إليها.

تُرَاوِحُهَا إِفْــكٌ وَسِــحْرٌ مُجَمَّــعٌ ... وَلَمْ يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَــصْعَدُ

تَدَاعَى لَهَا مَنْ لَيْسَ فِيْهَا بِقَرْقَــرٍ[1] ... فَطَائِرُهَــا فِــيْ رَأْسِــهَا يَتَــرَدَّدُ

وَكَانَــتْ كِفَــاءً رَقْعَــةٌ بِأَثِيْمَــةٍ ... لِيُقْطَــعَ مِنْهَــا سَــاعِدٌ وَمُقَلَّــدُ

وَيَظْعَنُ أَهْلُ الْمَكَّتَــيْنِ فَيَهْرُبُــوْا ... فَرَائِصُهُمْ مِنْ خَشْيَةِ الــشَّرِّ تُرْعَــدُ

وَيُتْرَكُ حَــرَّاثٌ[2] يُقَلِّــبُ أَمْــرَهُ ... أَيُتْهِمُ فِــيْهِمْ عِنْــدَ ذَاكَ وَيُنْجِــدُ[3]

وَتَصْعَدُ بَــيْنَ الْأَخْــشَبَيْنِ كَتِيْبَــةٌ ... لَهَا حُدُجٌ سَهْمٌ وَقَــوْسٌ وَمِرْهَــدُ[4]

فَمَنْ يَنْشَ مِنْ حُضَّارِ مَكَّــةَ عِــزَّهُ ... فَعِزَّتُنَــا فِــيْ بَطْــنِ مَكَّــةَ أَتْلَــدُ

نَشَأْنَا بِهَا وَالنَّــاسُ فِيْهَــا قَلَائِــلُ ... فَلَمْ نَنْفَكْ نَزْدَادُ[5] خَيْــرًا وَنَحْمَــدُ

وَنُطْعِمُ حَتَّى يَتْرُكَ النَّاسُ فَــضْلَهُمْ ... إِذَا جُعِلَتْ أَيْدِيْ الْمُفِيْضِيْنَ تُرْعَــدُ

جَزَى اللهُ رَهْطًا بِالْحَجُوْنِ تَتَــابَعُوْا ... عَلَى مَلَإٍ يُهْــدِيْ لِحَــزْمٍ وَيُرْشِــدُ

قُعُوْدًا لَدَى خَطْمِ الْحَجُوْنِ كَأَنَّهُمْ ... مَقَاوِلَةٌ[6] بَــلْ هُــمْ أَعَــزُّ وَأَمْجَــدُ

أَعَانَ عَلَيْهَــا كُــلُّ صَــقْرٍ كَأَنَّــهُ ... إِذَا مَا مَشَى فِيْ رَفْرَفِ الدِّرْعِ أَحْــرَدُ

---

(١) القرقر: الذليل، السهل اللين.

(٢) الحرَّاث: المكتسب.

(٣) أيُتهم: بمعنى ٱتهم، أي أتى تِهامة، وهي ما ٱنخفض عن أرض الحجــاز إلى البحــر. وأنجد: أتى نجدًا، وهي ما ٱرتفع عن أرض الحجاز إلى الشرق.

(٤) المرهد: الناعم، أي السيف الناعم بارتوائه من الدماء.

(٥) يؤكد في البيت وما بعده مقامهم في خدمة الناس، وأنهم توارثوا هذا الفضل وٱشتهروا به، وفي ذلك تذكرة للآخرين بذلك المقام.

(٦) المقاوِلة: الملوك.

جَرِيٌّ عَلَى جُلَّى الْخُطُوْبِ كَأَنَّـهُ ... شِـهَابٌ بِكَفَّـيْ قَـابِسٍ يَتَوَقَّـدُ
مِنَ الْأَكْرَمِيْنَ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِـبٍ ... إِذَا سِـيْمَ خَـسْفًا وَجْهُـهُ يَتَرَبَّـدُ
طَوِيْلُ النِّجَادِ خَارِجٌ نِصْفُ سَـاقِهِ ... عَلَى وَجْهِهِ يُسْقَى الْغَمَـامُ وَيُـسْعِدُ
عَظِيْمُ الرَّمَادِ سَـيِّدٌ وَابْـنُ سَـيِّدٍ ... يَحُضُّ عَلَى مَقْرَى الضُّيُوْفِ وَيَحْشِدُ
وَيَبْنِيْ لِأَبْنَـاءِ الْعَـشِيْرَةِ صَـالِحًا ... إِذَا نَحْنُ طُفْنَا فِـيْ الْـبِلَادِ وَيَمْهَـدُ
أَلَظَّ[1] بِهِدَاَ الـصُّلْحِ كُـلَّ مُبَـرَّءٍ ... عَظِيْمِ اللُّـوَاءِ أَمْـرُهُ ثَـمَّ يُحْمَـدُ
قَضَوْا مَا قَضَوْا فِيْ لَيْلِهِمْ ثُمَّ أَصْبَحُوْا ... عَلَى مَهَـلٍ وَسَـائِرُ النَّـاسِ رُقَّـدُ
هُمُ رَجَعُوْا سَهْلَ بْنَ بَيْضَاءَ رَاضِيًا ... وَسُـرَّ أَبُـوْ بَكْـرٍ بِهَـا وَمُحَمَّـدُ
مَتَى شُرِّكَ الْأَقْوَامُ فِيْ جُـلِّ أَمْرِنَـا ... وَكُنَّـا قَـدِيْمًا قَبْلَهَـا نُتَـوَدَّدُ
وَكُنَّـا قَـدِيْمًا لَا نُقِـرُّ ظُلَامَـةً ... وَنُـدْرِكُ مَـا شِـئْنَا وَلَا نَتَـشَدَّدُ
فَيَا لَقُصَيٍّ هَلْ لَكُمْ فِيْ نُفُوسِـكُمْ ... وَهَلْ لَكُمْ فِيْمَـا يَجِـيءُ بِـهِ غَـدُ
فَإِنِّيْ وَإِيَّـاكُمْ كَمَـا قَـالَ قَائِـلٌ ... لَدَيْكِ الْبَيَانُ لَوْ تَكَلَّمَـتْ أَسْـوَدُ[2]

إنَّ المتأمل فيما صدر عن أبي طالب عليه السلام تجاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من جهة، وتجاه المشركين من جهة أخرى يؤكد مدى إيمانه وآطمئنانه بـصدق النبـي ودعوته، وعدم التردد في تصديقه، حيث جعله يدعو القوم إلى تلك الحقيقـة التي أخبره بها النبي ويتحداهم من دون أنْ يرى الصحيفة بنفسه، بل بمجـرد

(١) ألظَّ: ألحَّ.

(٢) السيرة النبوية ٢/٢٧-٣٤.

أسود: آسم جبل كان قد قُتل فيه قتيل، فلم يعرف قاتله، فقال أولياء المقتول هذه المقالة فذهبت مثلًا. الروض ٢/١٢٩

الاستماع إلى ما أخبره بها النبي، وهل في ذلك شك بمدى إيمانه وتصديقه بالنبي ودعوته؟!

ثم يبدأ قصيدته بما هو عليه من سرور لهذا النصر الذي نصر الله تعالى نبيه ومن معه في هذا الحصار، ويرجو أنْ يصل خبر ذلك إلى الذين ذهبوا إلى الحبشة يبحثون عن ناصر لهذه الدعوة، وأنَّ الله تعالى قد تكفل بالنصر والتأييد بعد تلك المعاناة التي كانوا عليها، فلنتأمل في قوله:

أَلَا هَلْ أَتَى بَحْرِيِّنَا صُنْعُ رَبِّنَا عَلَى نَأْيِهِمْ وَاللهُ بِالنَّاسِ أَرْوَدُ
فَيُخْبِرَهُمْ أَنَّ الصَّحِيْفَةَ مُزِّقَتْ وَأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللهُ مُفْسَدُ
تُرَاوِحُهَا إِفْكٌ وَسِحْرٌ مُجَمَّعٌ وَلَمْ يُلْفَ سِحْرٌ آخِرَ الدَّهْرِ يَصْعَدُ

فهو يؤكد على صدق دعوة النبي، وبطلان دعوتهم وجور حصارهم للنبي وأهل بيته ومن آمن معه فتأمل (وَأَنَّ كُلَّ مَا لَمْ يَرْضَهُ اللهُ مُفْسَدُ)، وفيه بيان منه على أنَّ ما يجري من التأييد للنبي إنما هو بأمر الله تعالى، وأنه عز وجل ناصر نبيه ومن آمن معه، وانها النبوة لا إفك ولا سحر كما يزعمون أولئك المشركين، فهل بعد هذا البيان والتصريح والتحدي شك في مدى إيمان أبي طالب عليه السلام وجهاده في سبيل الإسلام بنفسه وسيفه ولسانه ومقامه؟!

وهل هناك أحد من المسلمين الأوائل قد جاهد بمثل هذا الجهاد الذي كان عليه أبو طالب؟!

كلا وألف كلا، وهذا التأريخ بكل أحرفه وصفحاته يؤكد مدى عظمة هذا الرجل في الدفاع عن النبي طيلة خمسة وثلاثين عامًا!!

- المورد الثاني عشر المشركون يطلبون عهدًا بينهم وبين الرسول قبل موت أبي طالب.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: وَلَمَّا ٱشْتَكَى أَبُوْ طَالِبٍ، وَبَلَغَ قُرَيْشًا ثِقَلُهُ، قَالَتْ قُرَيْشٌ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ: إِنَّ حَمْزَةَ[1] وَعُمَرَ قَدْ أَسْلَمَا، وَقَدْ فَشَا أَمْرُ مُحَمَّدٍ فِيْ قَبَائِلِ قُرَيْشٍ كُلِّهَا، فَانْطَلِقُوْا بِنَا إِلَى أَبِيْ طَالِبٍ، فَلْيَأْخُذْ لَنَا عَلَى ٱبْنِ أَخِيْهِ، وَلْيُعْطِهِ مِنَّا وَالله مَا نَأْمَنُ أَنْ يَبْتَزُّوْنَا[2] أَمْرَنَا.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الله بْنِ مَعْبَدِ بْنِ عَبَّاسٍ عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، عَنْ ٱبْنِ عَبَّاسٍ.

قَالَ: مَشَوْا إِلَى أَبِيْ طَالِبٍ فَكَلَّمُوهُ، وَهُمْ أَشْرَافُ قَوْمِهِ: عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَأُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ، فِيْ رِجَالٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ.

فَقَالُوْا: يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتَ، وَقَدْ حَضَرَكَ مَا تَرَى، وَتَخَوَّفْنَا عَلَيْكَ، وَقَدْ عَلِمْتَ الَّذِيْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱبْنِ أَخِيْكَ، فَادْعُهُ فَخُذْ لَهُ مِنَّا، وَخُذْ لَنَا مِنْهُ، لِيَكُفَّ عَنَّا، وَنَكُفَّ عَنْهُ، وَلِيَدَعَنَا وَدِيْنَنَا، وَنَدَعَهُ وَدِيْنَهُ.

---

(١) وقد روى ٱبن أبي الحديد المعتزلي شعرًا عن أبي طالب قالها عند إسلام أخيه أبي يعلى حمزة بن عبد المطلب:

فَصَبْرًا أَبَا يَعْلَى عَلَى دِيْنِ أَحْمَدٍ ... وَكُنْ مُظْهِرًا لِلدِّيْنِ وُفِّقْتَ صَابِرَا
وَحُطَّ مَنْ أَتَى بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ ... بِصِدْقٍ وَعَزْمٍ لَا تَكُنْ حَمْزُ كَافِرَا
فَقَدْ سَرَّنِيْ إِذْ قُلْتَ إِنَّكَ مُؤْمِنٌ ... فَكُنْ لِرَسُوْلِ اللهِ فِيْ اللهِ نَاصِرَا
وَبَادِ قُرَيْشًا بِالَّذِيْ قَدْ أَتَيْتَهُ ... جِهَارًا وَقُلْ مَا كَانَ أَحْمَدُ سَاحِرَا

شرح نهج البلاغة ٧٦/١٤.

(٢) ٱبتزه أمره: غلبه عليه.

فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبُوْ طَالِبٍ، فَجَاءَهُ، فَقَالَ: يَا ٱبْنَ أَخِيْ: هَؤُلَاءِ أَشْرَافُ قَوْمِكَ، قَدْ ٱجْتَمَعُوْا لَكَ، لِيُعْطُوْكَ، وَلِيَأْخُذُوْا مِنْكَ.

قَالَ: فَقَالَ رَسُوْلُ اللهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ): نَعَمْ، كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْطُوْنِيْهَا تَمْلِكُوْنَ بِهَا الْعَرَبَ، وَتَدِيْنُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ.

قَالَ: فَقَالَ أَبُوْ جَهْلٍ: نَعَمْ وَأَبِيْكَ، وَعَشْرَ كَلِمَاتٍ.

قَالَ: تَقُولُوْنَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَتَخْلَعُوْنَ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ.

قَالَ: فَصَفَّقُوا بِأَيْدِيْهِمْ. ثُمَّ قَالُوْا: أَتُرِيْدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ تَجْعَلَ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا، إِنَّ أَمْرَكَ لَعَجَبٌ!

قَالَ: ثُمَّ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِنَّهُ وَاللهِ مَا هَذَا الرَّجُلُ بِمُعْطِيْكُمْ شَيْئًا مِمَّا تُرِيدُونَ، فَانْطَلِقُوْا وَٱمْضُوْا عَلَى دِيْنِ آبَائِكُمْ، حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ.

قَالَ: ثُمَّ تَفَرَّقُوا(١).

إنَّ هذا الموقف ظاهر الدلالة في بيان مقام أبي طالب عليه السلام في الدفاع عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وعدم السماح لأحد أنْ يمسه بأي سوء، على رغم حقد القوم عليه بسبب الإسلام وٱنتشاره بين الناس، فقد كان أبو طالب درعه الحصين؛ حيث تأتيه الناس في أي أمر يتعلق بالنبي لعلمهم بمقامه ومنزلته عنده، ولا يمكنهم أنْ يتجاوزوه؛ لأنه لا يفارقه أبدًا، بل كان أشد حفاظًا عليه في مثل هذه السنوات التي صدع بالعقيدة الإسلامية عمَّا سبقها؛ لأنه كان سابقًا يتكفل أمره

---

(١) السيرة النبوية ٢/٦٥-٦٦.

ثم ذكر ٱبن هشام بعد ذلك الآيات القرآنية التي نزلت في القوم بعنوان (ما نزل فيمن طلبوا العهد على رسول الله عند أبي طالب). ينظر: السيرة النبوية ٢/٦٦-٦٧.

لكونه يتيمًا، أو وديعة أبيه عبد المطلب ووصيته فيه، وأما اليوم ففضلًا عن ذلك فهو رسول رب العالمين الصادح بالحق المبين، وخصوصًا ما كان يصدح به بين قومه بذلك من دون خوف وخشية، أو مجاملة أو تقية، بل بعقيدة راسخة، ولو كان على غير ذلك لصدرت منه ولو كلمة واحدة تؤيد عقيدة قومه وما يطلبونه وهم أشراف القوم كما وصفهم.

- المورد الثالث عشر رجاء الرسول إسلام أبي طالب.

فَقَالَ أَبُوْ طَالِبٍ لِرَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ): وَالله يَا ٱبْنَ أَخِيْ، مَا رَأَيْتُكَ سَأَلْتَهُمْ شَطَطًا [يقصد ما ورد في المورد المتقدم من الإيمان بالله وحده].

قَالَ: فَلَمَّا قَالَهَا أَبُوْ طَالِبٍ طَمِعَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) فِيْ إِسْلَامِهِ، فَجَعَلَ يَقُوْلُ لَهُ: أَيْ عَمِّ، فَأَنْتَ فَقُلْهَا أَسْتَحِلُّ لَكَ بِهَا الشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

قَالَ: فَلَمَّا رَأَى حِرْصَ رَسُولِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) عَلَيْهِ.

قَالَ: يَا ٱبْنَ أَخِيْ، وَالله لَوْلَا مَخَافَةُ السُّبَّةِ عَلَيْكَ وَعَلَى بَنِيْ أَبِيكَ مِنْ بَعْدِيْ، وَأَنْ تَظُنَّ قُرَيْشٌ أَنِّيْ إِنَّمَا قُلْتُهَا جَزَعًا مِنَ الْمَوْتِ لَقُلْتُهَا، لَا أَقُولُهَا إِلَّا لِأَسُرَّكَ بِهَا.

قَالَ: فَلَمَّا تَقَارَبَ مِنْ أَبِيْ طَالِبٍ الْمَوْتُ قَالَ: نَظَرَ الْعَبَّاسُ إِلَيْهِ يُحَرِّكُ شَفَتَيْهِ.

قَالَ: فَأَصْغَى إِلَيْهِ بِأُذُنِهِ، قَالَ: فَقَالَ يَا ٱبْنَ أَخِيْ، وَالله لَقَدْ قَالَ أَخِيْ الْكَلِمَةَ الَّتِي أَمَرْتَهُ أَنْ يَقُوْلَهَا.

قَالَ: فَقَالَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ): لَمْ أَسْمَعْ[1].

إنَّ في النص موضوعات يجب بيانها للوصول إلى بعض الحقائق التي يجي على الباحث أنْ يدرسها ويحاول تحليلها، وسأبين ما يتعلق بالعباس عم النبي كما ورد عنه في هذا النص التاريخي:

١- الرواية تذكر أنَّ العباس عم النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد سمع كلمة الشهادة من أخيه أبي طالب عليه السلام، وأنَّ النبي لم يقبل قوله، فاحتجَّ بالقول: (لَمْ أَسْمَعْ)، وهنا يمكن الإشارة إلى ما يأتي:

(١) السيرة النبوية ٢/٦٦.

أ- إنَّ عدم سماع النبي لمقولة أبي طالب أمر طبيعي حيث كان على فراش الموت، وهو على ما عليه من الضعف والوهن، وكان العباس أقرب إليه من النبي، وقد رآه يحرك شفتيه وقد أصغى إليه.

ب- إنَّ عدم قبول النبي شهادة العباس إنما تقع في جانبين: الأول إنه لم يكن مسلمًا ولا تقبل شهادة المشرك، ولكنه إذا كان ثقة هل الأمر كذلك؟ والآخر إنه كان مسلمًا ولكن النبي لم يقبل شهادته كذلك، بل أراد أنْ يسمع ذلك بنفسه.

ت- إذا كان النبي لا يقبل شهادة العباس في أبي طالب إلا إذا سمع ذلك بنفسه، فهل أنَّ النبي قد سمع جميع من أسلم منهم بنفسه!! فهذا الأمر غير ثابت قطعًا.

ث- إنَّ النص يوحي إلى أنَّ العباس كان مسلمًا آنذاك حيث كان يُقسم بالله تعالى، وهل المشركون يقسمون بالله تعالى؟! بل قد فرح كثيرًا بمقولة أخيه أبي طالب، ونقلها إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذي كان يطلب ذلك، ومقولته: ((فَقَالَ يَا ٱبْنَ أَخِيْ، وَاللهِ لَقَدْ قَالَ أَخِيْ الْكَلِمَةَ الَّتِي أَمَرْتَهُ أَنْ يَقُوْلَهَا)) تؤكد مدى سروره بذلك؛ لمعرفته بعظمة الإسلام وآثار ذلك في الآخرة.

ج- ولو قلنا إنَّ العباس كان مسلمًا في ذلك الحين لخالفنا عددًا من النصوص التاريخية التي رواها المؤرخون والتي ٱختلفوا في تاريخ إسلامه، وكلها تؤكد عدم إسلامه.

ومجمل تلك الأقوال خمسة:

١- قبل الهجرة[١].

٢- قبل معركة بدر، ومعركة بدر كانت عام ٢هـ[٢].

٣- بعد أسره في معركة بدر أي عام ٢هـ[٣].

٤- قبل فتح خيبر عام ٧هـ[٤].

٥- ليلة العقبة عام ٨هـ[٥].

إنَّ التأمل في ٱختلاف هذه الأقوال يؤدي إلى عدم الجزم بتاريخ معين منها، ولكن المشهور منها أنه لم يسلم إلا بعد معركة بدر.

ح- ولو قلنا إنَّ العباس لم يكن مسلمًا وكان مشركًا حين تلك الواقعة وهو الصحيح، ولكن كيف تم ترتيب هذا النص ترتيبًا تامًّا بما يأتي:

١- القسم بالله تعالى وهو مشرك.

٢- السرور بما سمعه من أخيه أبي طالب لكلمة الشهادة وهو لا يعترف بها.

٣- الاعتناء بحال أخيه وبما سمعه منه وإخبار النبي بذلك مباشرة؛ لتأكيد ما طلبه النبي من عمِّه أبي طالب.

---

(١) تاريخ دمشق ٢٦/٢٧٣.

(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، يوسف بن عبد الله ٱبن عبد البر الأندلسي ٢/٨١٢.

(٣) أسد الغابة في معرفة الصحابة، علي بن محمد ٱبن الأثير الجزري ٣/٦١.

(٤) الاستيعاب في معرفة الأصحاب ٢/٨١٢.

(٥) جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري ٤/٢.

وأما فيما يتعلق بأبي طالب عليه السلام وموقفه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في النص فيمكن بيان ما يأتي:

١- إنَّ كل تلك المواقف الصريحة التي تقدمت عن أبي طالب ودفاعه عن النبي، وإعلانه بأنه نبي من قبل الله تعالى، والوقوف معه في أشد الضروف ومنها الحصار في شعب أبي طالب لا يدل على إسلامه، حيث يطلب منه النبي ذلك في آخر ساعات عمره الشريف؟!

٢- لو كان أبو طالب على غير دين الله تعالى، أليسَ كان الأجدر برسول الله أنْ يدعوه إلى الإسلام منذ تلك السنوات العشر التي تقدمت تقريبًا؟ حيث لا يوجد أي نص يذكر أنَّ النبي دعاه إلى الإسلام قبل ذلك!! ولماذا يطلب منه النبي الإسلام وهو على فراش الموت؟ فأين هي رسالة النبي للأمة في دعوته إلى دين الله والتوحيد؟!!

٣- أي خشية يخشاها أبو طالب عليه السلام على نفسه أو قومه في دخوله الإسلام وهو على فراش الموت، وهو الذي لم يخشاهم يومًا كما نصت النصوص الصريحة المتعددة التي تقدمت؟! فهل يمكن للباحث أنْ يقبل ذلك؟! ولماذا هذا الإصرار من أبي طالب في الدفاع عن عقيدة الشرك وعناده للنبي في كلمة لا يريد أنْ يقولها مع إيمانه بصدق محمد وشرفه ومقامه؟!

٤- إذا لم يكن أبو طالب مؤمنًا فماذا يمكن تفسير ما ورد عنه من القول: ((وَاللهِ يَا ٱبْنَ أَخِيْ، مَا رَأَيْتُكَ سَأَلْتَهُمْ شَطَطًا[1]))، فهو يقسم بالله تعالى وفي

(١) الشطط هو الجور في الحكم أو في القضية، والابتعاد والميل ومجاوزة القدر. ينظر: العين مادة (شط)، معجم مقاييس اللغة ماد (شط).

ذلك إشارة إلى ٱعترافه بعظمة الخالق وأنه أحق أنْ يقسم به للأمور العظيمة، فهل هذه عقيدة غير المسلم؟! ثم إنَّ مقولته كانت على إثر طلب النبي من المشركين أنْ يقولوا كلمة التوحيد كما ورد عنه ((كَلِمَةٌ وَاحِدَةٌ تُعْطُوْنِيْهَا تَمْلِكُوْنَ بِهَا الْعَرَبَ، وَتَدِيْنُ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ. قَالَ: فَقَالَ أَبُوْ جَهْلٍ: نَعَمْ وَأَبِيْكَ، وَعَشْرَ كَلِمَاتٍ. قَالَ: تَقُولُوْنَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَتَخْلَعُوْنَ مَا تَعْبُدُوْنَ مِنْ دُوْنِهِ)) فهذا القول الذي ٱعترف به أبو طالب للنبي أنه لم يكن شططًا وهو (توحيد الله تعالى وعدم الشرك به)، فكيف يعترف أنه لم يكن شططًا وهو لا يؤمن بذلك؟! بل في النص دلالة على إيمانه وٱعتقاده بصدق ما طلبه النبي من القوم، وأنه هو الحق الذي يجب على المشركين ٱتباعه؛ لذلك لم يظهر منه شيء يعارض دعوة النبي مطلقًا، بل تصديقه وتشجيعه.

٥- إنَّ تكرار هذه الكلمة (السُّبَّة) في هذا النص على لسان الرواية ((وَاللهِ لَوْلَا مَخَافَةُ السُّبَّةِ عَلَيْكَ وَعَلَى بَنِيْ أَبِيكَ مِنْ بَعْدِيْ))، وكما وردت سابقًا في القصيدة اللامية كما يروى:

فَوَاللهِ لَوْلَا أَنْ أَجِيءَ بِسُبَّةٍ تَجُرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِيْ الْمَحَافِلِ

يدعو الباحث على التأمل في مدى التناص بين المفردات التي يراد نسبتها إلى أبي طالب عليه السلام، فهل التشابه يدل على مدى عمق أبي طالب بآثار إيمانه في المجتمع لو آمن وٱستحكام ذلك حيث يبقى اللفظ والمعنى راسخًا في نفسه إلى آخر ساعات حياته!! أم أنَّ الذي أراد أنْ ينسب إليه ذلك كان دقيقًا في ٱنتحال الألفاظ بعينها؟!

أو غفلته حيث ٱستعمل ذلك؟!

٦- إنَّ ما كان يخافه أبو طالب من تلبية دعوة النبي كما يروى ((وَاللهِ لَوْلَا مَخَافَةُ السُّبَّةِ عَلَيْكَ وَعَلَى بَنِيْ أَبِيكَ مِنْ بَعْدِيْ)) ليس له مجال أبدًا، فإذا كان يخاف على النبي السبَّة من قومه، فالحال أنَّ القوم قد فعلوا به ما يدل على أعظم من ذلك؟! وإنْ كان يخاف على إخوته وقومه فإنَّ النبي بسبب دعوته قد أتى لأهل بيته بأنواع الأذى والعذاب الذي بلغ أقصى حدوده!!

فأي شيء لم يبلغ ذروته حتى يخاف ذلك أبو طالب وقد عاصر كل ذلك، وهو الحكيم ذو المقام الرفيع؟!!

إنَّ كُلَّ ما تقدم يدعو الباحث إلى الشك التام في صدور مثل هذه النصوص التي تريد بيان بعض الوقائع، بل كثرة النصوص والمواقف العملية المشهودة تنفي القبول لذلك مطلقًا.

- المورد الرابع عشر: وفاة أبي طالب وخديجة وما عاناه رسول (الله صلى الله عليه [وآله] وسلم) بعدهما[١].

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: وَكَانَ النَّفَرُ الَّذِيْنَ يُؤْذُوْنَ رَسُوْلَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) فِيْ بَيْتِهِ: أَبَا لَهَبٍ، وَالْحَكَمَ بْنَ الْعَاصِ بْنَ أُمَيَّةَ، وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِيْ مُعَيْطٍ، وَعَدِيَّ بْنَ حَمْرَاءَ الثَّقَفِيَّ، وَٱبْنَ الْأَصْدَاءِ الْهُذَلِيَّ، وَكَانُوْا جِيْرَانَهُ لَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا الْحَكَمُ بْنُ أَبِي الْعَاصِ، فَكَانَ أَحَدُهُمْ -فِيمَا ذُكِرَ لِيْ- يَطْرَحُ عَلَيْهِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) رَحِمَ الشَّاةِ وَهُوَ يُصَلِّيْ، وَكَانَ أَحَدُهُمْ يَطْرَحُهَا فِيْ بُرْمَتِهِ[٢] إِذَا نُصِبَتْ لَهُ، حَتَّى ٱتَّخَذَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) حِجْرًا يَسْتَتِرُ بِهِ مِنْهُمْ إِذَا صَلَّى، فَكَانَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) إِذَا طَرَحُوْا عَلَيْهِ ذَلِكَ الْأَذَى كَمَا حَدَّثَنِيْ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الله بْنُ عُرْوَةَ بْنُ الزُّبَيْرِ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، يَخْرُجُ بِهِ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) عَلَى الْعُوْدِ، فَيَقِفُ بِهِ عَلَى بَابِهِ، ثُمَّ يَقُوْلُ: يَا بَنِيْ عَبْدِ مَنَافٍ، أَيُّ جِوَارٍ هَذَا! ثُمَّ يُلْقِيْهِ فِيْ الطَّرِيْقِ.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ: ثُمَّ إِنَّ خَدِيْجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ وَأَبَا طَالِبٍ هَلَكَا فِيْ عَامٍ وَاحِدٍ، فَتَتَابَعَتْ عَلَى رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) الْمَصَائِبُ بِهُلْكِ خَدِيجَةَ، وَكَانَتْ لَهُ وَزِيْرَ صِدْقٍ عَلَى الْإِسْلَامِ، يَشْكُو إِلَيْهَا، وَبِهُلْكِ عَمِّهِ أَبِيْ طَالِبٍ، وَكَانَ لَهُ عَضُدًا وَحِرْزًا فِيْ أَمْرِهِ، وَمَنَعَةً وَنَاصِرًا عَلَى قَوْمِهِ، وَذَلِكَ قَبْلَ مُهَاجَرِهِ إِلَى الْمَدِيْنَةِ بِثَلَاثِ سِنِيْنَ.

---

(١) السيرة النبوية ٢/٦٤-٦٥.

(٢) البرمة: القدر من الحجر.

فَلَمَّا هَلَكَ أَبُوْ طَالِبٍ، نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِيْ حَيَاةِ أَبِيْ طَالِبٍ، حَتَّى اعْتَرَضَهُ سَفِيْهٌ مِنْ سُفَهَاءِ قُرَيْشٍ، فَنَثَرَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَابًا.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِيْ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيْهِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، قَالَ: لَمَّا نَثَرَ ذَلِكَ السَّفِيْهُ عَلَى رَأْسِ رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) ذَلِكَ التُّرَابَ، دَخَلَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) بَيْتَهُ وَالتُّرَابُ عَلَى رَأْسِهِ، فَقَامَتْ إِلَيْهِ إِحْدَى بَنَاتِهِ، فَجَعَلَتْ تَغْسِلُ عَنْهُ التُّرَابَ وَهِيَ تَبْكِيْ، وَرَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) يَقُوْلُ لَهَا: لَا تَبْكِيْ يَا بُنَيَّةِ، فَإِنَّ اللهَ مَانِعٌ أَبَاكِ[1].

إنَّ في النص دلالات واضحة على مقام أبي طالب عليه السلام في نصرة رسول الله خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم وفيه:

١- لقد أظهر النص مدى العداء الكبير الذي كان المشركون يواجهون به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومنهم من قريش وأهل بيته، والذي تمثل بأعتى المشركين المعادين للرسالة الإسلامية.

٢- إنَّ هؤلاء على مدى طغيانهم وجبروتهم لم يستطيعوا الوصول إلى رسول الله وإيذائه بوجود عمِّه الباذل نفسه في سبيله، والمدافع عنه بنفسه وجاهه، وسنانه ولسانه في كل موقف يمكن أنْ يصل لرسول الله أدنى أذىً وسوء، (وَكَانَ لَهُ عَضُدًا وَحِرْزًا فِيْ أَمْرِهِ، وَمَنَعَةً وَنَاصِرًا عَلَى قَوْمِهِ) والنص صريح في بيان تلك المواقف التي كانت على مدى عشرة أعوام من عمر الرسالة الإسلامية، أي قرابة نصف سنوات البعثة المحمدية.

(١) السيرة النبوية ٢/٦٤-٦٥.

٣- لقد كان لموت أبي طالب عليه السلام أثر بالغ في إيذاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين، وما أصابهم من صعوبة في تبليغ الرسالة، والدعوة إلى الإسلام، ونشر تعاليم الشريعة المقدسة كما كان الحال في أيام حياته من قوة ومساندة مادية ومعنوية للإسلام والمسلمين على مدى تلك السنوات الشديدة للبعثة، وقد بلغ المشركون ذروة ٱنتقامهم من النبي بعد وفاة عمِّه الذي كان له سدًّا منيعًا، (فَلَمَّا هَلَكَ أَبُوْ طَالِبٍ، نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَطْمَعُ بِهِ فِيْ حَيَاةِ أَبِيْ طَالِبٍ)[1].

ولا أدري هل هناك باحث منصف يشك في ذلك المقام العظيم والنصر المبين الذي كان يتحقق للنبي بوجود عمِّه على جانبه، على رغم عمر النبي الذي تجاوز الأربعين، وما عليه من مؤهلات ليكون خاتم النبيين والمرسلين؟!

أَلا تحتاج هذه النصوص وغيرها إلى التأمل في المضمون الكبيرلمعانيها، وأنْ نعيش مع النص بكل أجوائه وأحواله؛ لنصل إلى جزء من ذلك الواقع الذي كان الإسلام عليه قبل وفاة أبي طالب، وما أصابه بعده؟!

لقد كان موت أبي طالب نقطة تحول في السيرة المباركة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وللرسالة والمسلمين من حالة قوة وشجاعة وٱطمئنان إلى حالة من الأذى والتشريد عن ناصر ومعين له على تبليغ رسالته، وقد روى ٱبن هشام (فَخَرَجَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) إِلَى الطَّائِفِ، يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ ثَقِيْفٍ) كما سيأتي بيانه!!

---

(١) قال الحافظ الذهبي: ((قال عروة بن الزبير: قال "رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم": ما زالت قريش كاعة عني حتى مات عمي. كاعة: جمع كائع، وهو الجبان، يقال: كَعَّ: إذا جبن وٱنقبض)). سير أعلام النبلاء، محمد بن أحمد بن عثمان ١٩١/١.

- المورد الخامس عشر: الرسول عليه السلام يستسقي لأهل المدينة ويودُّ لو أنَّ أبا طالب حي ليرى ذلك.

قَالَ ٱبْنُ هِشَام : وَحَدَّثَنِيْ مَنْ أَثِقُ بِهِ قَالَ أَقْحَطَ أَهْلُ الْمَدِيْنَةِ، فَأَتَوْا رَسُولَ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) فَشَكَوْا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَصَعِدَ رَسُولُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) الْمِنْبَرَ فَاسْتَسْقَى، فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَ مِنَ الْمَطَرِ مَا أَتَاهُ أَهْلُ الضَّوَاحِي يَشْكُوْنَ مِنْهُ الْغَرَقَ، فَقَالَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ): ((اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلَا عَلَيْنَا))، فَانْجَابَ السَّحَابُ عَنِ الْمَدِيْنَةِ فَصَارَ حَوَالَيْهَا كَالْإِكْلِيْلِ، فَقَالَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ): ((لَوْ أَدْرَكَ أَبُوْ طَالِبٍ هَذَا الْيَوْمَ لَسَرَّهُ)).

فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: كَأَنَّك يَا رَسُوْلَ الله أَرَدْتَ قَوْلَهُ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ - ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

قَالَ: أَجَلْ[1].

إنَّ حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وٱستذكاره لعمِّه أبي طالب عليه السلام فيه من الدلالات الواضحة على العلاقة الإيمانية التي كانت بينهما، حيث يؤكد على ٱعتقاد عمِّه أبي طالب بمقامه الذي كان يعبِّر عنه جهرة من خلال مواقفه في الدفاع عنه بنفسه تارة، وبأشعاره التي تبيِّن منزلته وشأنه عند الله تعالى أخرى، وهذا البيت فيه بيان أيضًا لمدى تأثر النبي بشعر أبي طالب من جهة، وبصدق شعره من جانب آخر، وأمنيته أنْ يكون أبو طالب حاضرًا لمثل هذه الوقائع التي كان يستشرفها في النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويبيِّن النص شهرة هذا البيت بين المسلمين، ومعرفتهم بقائله، وفي كل ذلك دلالة على مواقف أبي طالب في نصرة النبي وبيان مقامه بما لا يمكن أنْ يخفى على أحد من الناس آنذاك.

---

(١) السيرة النبوية ١/٣١١-٣١٢.

- المورد السادس عشر سعي الرسول إلى الطائف وموقف ثقيف منه.

قَالَ ٱبْنُ إِسْحَاقَ : وَلَمَّا هَلَكَ أَبُوْ طَالِبٍ نَالَتْ قُرَيْشٌ مِنْ رَسُوْلِ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) مِنَ الْأَذَى مَا لَمْ تَكُنْ تَنَالُ مِنْهُ فِيْ حَيَاةِ عَمِّهِ أَبِيْ طَالِبٍ فَخَرَجَ رَسُوْلُ الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وَآلِهِ] وَسَلَّمَ) إِلَى الطَّائِفِ، يَلْتَمِسُ النُّصْرَةَ مِنْ ثَقِيْفٍ، وَالْمَنَعَةَ بِهِمْ مِنْ قَوْمِهِ وَرَجَاءَ أَنْ يَقْبَلُوْا مِنْهُ مَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الله عَزَّ وَجَلَّ فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُ[1].

إنَّ في النص بيانًا جليًّا لا يشوبه أدنى شك على إظهار مدى نصرة أبي طالب عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طيلة مرافقته له، ووقوفه بوجه أعداء الرسالة الإسلامية ونبيِّها بما لا يمكنهم أنَّ يتقربوا منه مطلقًا، ولكن الحال تغيَّر كله برحيل ناصره وناصر الشريعة أبي طالب، وصار النبي يبحث عن نصرة أخرى تسانده على أداء رسالته، ولكنه لم يتستطع ذلك بسهولة إلا بتسديد من الله تعالى، ولقد أصابه من الأذى وقلة الناصر أنْ يهجر مكة باحثًا عن مكان يمكنه أنْ يقوم بذلك، بعد أنْ كان في كنف وحصن عمِّه لأكثر من عشرة أعوام يبلغ تعاليم الشريعة المقدسة.

هذا آخر ما حاولت بيانه في هذه الدراسة الموجزة عن أعظم شخصية رافقت النبي صلى الله عليه وآله وسلم منذ ولادته إلى حين بعثته المباركة، وما بعد بعثته لسنوات متعددة، وهو وقد

(١) السيرة النبوية ٢/٦٧-٦٩.

تحملت ما لا يمكن أنْ يتحمله أحد، فكان على منزلة عظيمة في الإيمان والعقيدة، والدفاع عن النبي والمسلمين، فجزاه الله عن النبي وعن الإسلام والمسلمين خير جزاء المجاهدين الصابرين المرابطين في سبيل إعلاء كلمة التوحيد، وستبقى سيرته صفحة مشرقة في السيرة النبوية المباركة لكل الباحثين والمسلمين، ولله الحمد أولًا وآخرًا، وصلى الله على النبي المصطفى وآله المعصومين، وعلى عمِّه أبي طالب.

خاتمة الطاف:

١- إنَّ دراسة سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وما يتعلق بها لا بد أنْ تكون دراسة تاريخية عقائدية غير منفكة؛ لأنَّ ما يصدر عنه إنما هو تشريع يجب الامتثال إليه، وهذا ما لم يراعه أغلب الباحثين في التاريخ الإسلامي للأسف.

٢- إنَّ سيرة آبن هشام تحتاج إلى دراستها من جوانب متعددة فيما يتعلق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم ؛ ليمكن الوصول من خلالها إلى سيرة خالية مما لا يمكن قبوله، أو صدوره منه، وهذا ما يراه الباحث للتاريخ الإسلامي في هذا الكتاب بصورة جلية، وفي كتب السيرة الأخرى.

٣- لقد أثبتت كثير من نصوص سيرة آبن هشام المواقف العظيمة التي كانت تتمثل في شخصية أبي طالب عليه السلام ودفاعه العظيم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل بعثته وبعدها، بما يجعل الباحث متأمِّلًا في تلك الادِّعاءات والأكاذيب التي يطلقها عليه بعض الكُتَّاب زورًا وبهتانًا.

٤- حاول المؤلف أنْ يقرأ النص الوارد في أبي طالب عليه السلام قراءة تحليلية بعيدة عن العاطفة، قائمة على محاكات النص ومحاكمته؛ للوصول إلى نتائج تتلائم وسيرة خاتم الأنبياء والمرسلين، من دون تحميل النص ما لا يليق به، وكانت النتائج كبيرة، وهي محاولة جديرة بالاهتمام في قراءة نصوص سيرة المعصومين عليهم السلام وما يتعلق بهم.

٥- ضرورة نشر هذه الدراسات التحليلية لسيرة المعصومين عليهم السلام بين طلبة الدراسات العليا والدراسات الأولية في الجامعات، وأهمية تهذيب المناهج

الدراسية مما يسيء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم في عمِّه أبي طالب عليه السلام، فضلًا عن نشر الدراسات والبحوث التي ترد على تلك الافتراءات والأباطيل.

٦- أهمية جمع جميع النصوص المتعلقة بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلاقته مع عمِّه الواردة في كتب السيرة الأخرى في كتاب مستقل؛ لتكون مادة تاريخية جاهزة للبحث والدراسة من قبل الباحثين في التاريخ الإسلامي، وبيان تواتر تلك النصوص بين المؤرخين في ذلك، وليس الأمر مقتصرًا على كتاب من دون آخر.

٧- ضرورة ترجمة ملخصات بعض المؤلفات والبحوث والدراسات المختصة بأبي طالب عليه السلام إلى لغات مختلفة؛ ليطلع المسلمون غير العرب على ذلك، ورفع الشكوك والتشويهات التي تنشر عن هذه الشخصيات من قبل أعداء مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال الإعلام المضلل لهذه السيرة الزاخرة بالعطاء والفداء.

قائمة المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

* **المؤلفات:**

١- أبو طالب حامي الرسول وناصره، نجم الدين العسكري (ت١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، (مط الآداب، النجف الأشرف، ١٣٨٠هـ، د.ط).

٢- الاستيعاب في معرفة الأصحاب أبو عمر يوسف بن عبد الله ٱبن عبد البر الأندلسي (ت٤٦٣هـ/١٠٤٤م): ، تحقيق: علي محمد البجاوي، (دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ١٩٩٢م).

٣- أسد الغابة في معرفة الصحابة، عز الدين أبو الحسن علي بن محمد ٱبن الأثير الجزري (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، تحقيق: محمد إبراهيم البنا وآخرون، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ١٩٨٩م) ٦١/٣.

٤- أسنى المطالب في نجاة أبي طالب، أحمد زيني دحلان (ت١٣٠٤هـ/١٨٨٦م)، تعليق: علي بن الحسين الهاشمي الخطيب، (المطبعة الإسلامية، طهران، ١٣٨٢هـ، د.ط).

٥- الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ/١٤٤٨م)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ).

٧- أوائل المقالات، أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان المفيد (ت٤١٣هـ/١٠٢٢م)، تحقيق: الشيخ إبراهيم الأنصاري، (دار المفيد، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ١٩٩٣م).

٨- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، د.ط).

٩- تاريخ دمشق، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٦م): ، تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي، (دار الفكر، بيروت، ١٤١٥هـ ١٩٩٥، د.ط).

١٠- تاريخ اليعقوبي، أبو العباس أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر اليعقوبي (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م)، (دار صادر، بيروت، د.ط، د.مط).

١١- التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ).

١٢- جمل من أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، (دار الفكر، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م).

١٣- الحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب، السيد شمس الدين، فخار بن معاد الموسوي (ت٦٣٠هـ/١٢٣٣م)، تصحيح وتعليق: الطباطبائي الحسني، (مط العلوية، النجف، ١٣٥١هـ، د.ط).

١٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (مطبعة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م).

١٥- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب، صنعة أبي هفان عبد الله بن أحمد المهمزي العبدي (ت٢٥٧هـ/٨٧١م)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (دار الهلال، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ ٢٠٠م).

١٦- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب، صنعة علي بن حمزة البصري التميمي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (د.ط، د.مط، د.ت، د.م).

١٧- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (١٢٧٠هـ/١٨٥٣م)، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ).

١٨- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت٥٨١هـ/١١٨٥م)، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ).

١٩- سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، (مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م).

٢٠- السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٣هـ/٨٢٨م)، تعليق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م).

٢١- شرح نهج البلاغة، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله ابن أبي الحديد المعتزلي (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م): ، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية، ط٢، ١٩٦٤م، د.م).

٢٢- الطبقات الكبرى، أبو عبد الله محمد بن سعد البصري الزهري (ت٢٣٠هـ/٨٤٥م)، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، ط١، ١٩٦٨م).

٢٣- عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، جمال الدين أحمد بن علي الحسني آبن عنبة (ت٨٢٨هـ/١٤٢٥م)، تصحيح: محمد حسن آل الطالقاني، (المطبعة الحيدرية، النجف، ط٢، ١٣٨٠هـ ١٩٦١م).

٢٤- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٠هـ/٧٨٦م):، تح: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، تصحيح: أسعد الطيِّب (مط أسوة، قم، ط٢، ١٤٢٥هـ).

٢٥- الكافي، الشيخ أبو إسحاق محمد بن يعقوب الكليني (ت٣٢٩هـ/٩٤١م)، تصحيح وتعليق: علي أكبر الغفاري، (دار الكتب الإسلامية، طهران، ط٣، ١٣٦٧ش).

٢٦- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت٥٣٨هـ/١١٤٣م)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوَّض، (مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤١٨هـ ١٩٩٨م).

٢٧- لسان العرب، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرَّم آبن منظور (ت٧١١هـ/١٣١١م): ، (مط الميرية ببولاق، مصر، ط١، ١٣٠١هـ).

٢٨- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن (ت٥٤٨هـ/١١٥٣م)، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين، قدَّم له: السيد محسن الأمين العاملي، (مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م).

٢٩- معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس آبن زكريا، (ت٣٩٥هـ/١٠٠٥م) ، آعتنى به: الدكتور محمد عوض مرعب والآنسة فاطمة

محمد أصلان، (مط دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٩هـ٢٠٠٨م، د.ط).

٣٠- المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت٤٠٥هـ/١٠١٤م)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ١٩٩٠م).

٣١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري (ت٧٦١هـ/١٣٦٠م)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (منشورات مكتبة آية الله العظمى المرعشي النجفي، قم، ١٤١٤هـ، د.ط).

٣٢- المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ/١١٠٨م)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دار القلم، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ).

٣٣- مواهب الواهب في فضائل والد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الشيخ جعفر النقدي (ت١٣٦٩هـ/١٩٥٠م)، تقديم وتحقيق وتعليق: الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني، (شركة الكتبي، بيروت، ط٢، ١٤١٣هـ ١٩٩٣م).

٣٤- موسوعة الغدير في الكتاب والسنة والأدب، الشيخ عبد الحسين أحمد الأميني (ت١٣٩٠هـ/١٩٧٠م)، تحقيق: مركز الغدير للدراسات الإسلامية، (مؤسسة دار المعارف الإسلامية، قم، ط٤، ١٤٢٧هـ٢٠٠٦م).

*** البحوث:**

١- ٱستدلال الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في عدم إيمان أبي طالب والرد عليها دراسة تاريخية، الأستاذة سحر عبد الله محمد، وقائع المؤتمر الدولي الأول للجمعية العراقية العلمية للمخطوطات، مجلة إكليل، الجمعية العراقية العلمية للمخطوطات، المجلد الأول.

٢- موقف المستشرقين من السيرة النبوية (تطابق المظهر وٱختلاف المضمون)، الدكتور قاسم جواد الجيزاني، مجلة العميد، العتبة العباسية المقدسة، العدد الخاص (٢)، السنة الثانية، ١٤٣٤هـ ٢٠١٣م.

الفهرس

مقدمة ٥

تمهيد: أبو طالب عليه السلام سيرته ومقامه في الإسلام ١٠

- أولاً: اسمه وولادته ١٠

- ثانيًا: ألقابه ١١

- ثالثًا: ما قيل فيه ١١

رابعًا: أشعاره في النبي صلى الله عليه وآله وسلم ١٣

- خامسًا: وفاته ١٥

أبو طالب عليه السلام في السيرة النبوية لابن هشام ١٧

* المورد الأول: كفالة أبي طالب لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ١٧

الكفالة الإلهية لأولياء الله تعالى ١٩

* المورد الثاني: أبو طالب عليه السلام وما ورد عن الراهب بحيرى في النبي ٢٧

١ - قصة بحيرى ٢٧

٢ - بحيرى يحتفي بتجار قريش ٢٧

٣- بحيرى يتثبَّت من محمد صلى الله عليه وآله وسلم ٢٩

٤ - بحيرى يوصي أبا طالب بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم ٣٠

٥ - بعض من أهل الكتاب يريدون بمحمد صلى الله عليه وآله وسلم الشر ٣٠

* المورد الثالث: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يتزوج من خديجة بعد آستشارة أعمامه ٣٥

* المورد الرابع: مساندة أبي طالب عليه السلام لدعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وتحدي قومه ٤٠
١- عداوة قومه ومساندة أبي طالب له ٤٠
٢- وفد قريش يعاتب أبا طالب ٤٢
٣- الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يستمر في دعوته ٤٣
٤- رجوع الوفد إلى أبي طالب مرة ثانِية ٤٤
٥- ما دار بين الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأبي طالب ٤٨
٦- قصة أبي سلمة رضي الله عنه في جواره [أبي طالب عليه السلام]. ٤٩
* المورد الخامس: قريش تحاور أبا طالب ٥٢
١- قريش تعرض عمارة بن الولِيد على أبي طالب ٥٢
٢- شعر أبي طالب في المُطْعِم ومن خذله ٥٩
* المورد السادس: الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعلي يخرجان إلى الصلاة في شعب مكة وٱكتشاف أبي طالب لهما ٦١
* المورد السابع: عداوة قريش للإسلام ٦٥
١- قريش تظهر عداوتها للمسلمين ٦٥
٢- شعر أبي طالب في مدح قومه لنصرته ٦٧
* المورد الثامن: شعر أبي طالب في ٱستعطاف قريش ٧٠
* المورد التاسع: شعر أبي طالب للنجاشي ٨٤
* المورد العاشر: شعر أبي طالب في تظاهر قريش ٨٧
* المورد الحادي عشر حديث نقض الصحيفة ٩٢

* المورد الثاني عشر المشركون يطلبون عهدًا بينهم وبين الرسول قبل موت أبي طالب ٩٦
* المورد الثالث عشر رجاء الرسول إسلام أبي طالب ٩٩
* المورد الرابع عشر: وفاة أبي طالب وخديجة وما عاناه رسول صلى الله عليه وآله وسلم بعدهما ١٠٥
* المورد الخامس عشر: الرسول عليه السلام يستسقي لأهل المدينة ويودُّ لو أَنَّ أبا طالب حي ليرى ذلك ١٠٨
* المورد السادس عشر سعي الرسول إلى الطائف وموقف ثقيف ١٠٩
خاتمة المطاف ١١١
قائمة المصادر والمراجع ١١٣
الفهرس ١١٩
ملحق (إضاءات في القصيدة اللامية) ١٢٣

ملحق

(إضاءات في القصيدة اللامية)

إنَّ أهمية هذه القصيدة لها من الأهمية في العقيدة والتاريخ والأدب، وقد ذكرها كثير من الأعلام في مؤلفاتهم الخاصة عن أبي طالب عليه السلام ووضعوا لها شروحًا وتعليقات، فضلًا عن الاستشهاد بأبياتها في جوانب مختلفة كالسيرة النبوية، أو تاريخ المسلمين، أو اللغة والأدب؛ ولأجل ذلك أفردت لها هذا الملحق لبيان ما يتعلق بها إجمالًا، وفسح المجال للباحثين التفصيل بما انفردت به هذه القصيدة من دون قصائده الأخرى على رغم أهميتها جميعًا، ولكن المواقف العقائدية الصلبة التي تضمنتها فجعلت لها هذا الخلود على مدى أربعة عشر قرنًا، بل تمت مقارنتها بالمعلقات، وسيتم بيان بعض الموضوعات بعد ذكر القصيدة كاملة، من خلال فقرات أربعة.

وَلَمَّا رَأَيْتُ الْقَوْمَ لَا وُدَّ فِيْهِمْ ... وَقَدْ قَطَعُوْا كُلَّ الْعُرَى وَالْوَسَائِلِ

وَقَدْ صَارَحُوْنَا بِالْعَدَاوَةِ وَالْأَذَى ... وَقَدْ طَاوَعُوْا أَمْرَ الْعَدُوِّ الْمُزَايِلِ

وَقَدْ حَالَفُوْا قَوْمًا عَلَيْنَا أَظِنَّةً ... يَعَضُّوْنَ غَيْظًا خَلْفَنَا بِالْأَنَامِلِ

صَبَرْتُ لَهُمْ نَفْسِيْ بِسَمْرَاءَ سَمْحَةٍ ... وَأَبْيَضَ عَضْبٍ مِنْ تُرَاثِ الْمَقَاوِلِ

وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِيْ وَإِخْوَتِي ... وَأَمْسَكْت مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ

قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِيْنَ رِتَاجَهُ ... لَدَى حَيْثُ يُقْضِيْ حَلْفَهُ كُلُّ نَافِلِ

وَحَيْثُ يُنِيْخُ الْأَشْعَرُوْنَ رِكَابَهُمْ ... بِمَفْضَى السُّيُوْلِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ

مُوَسَّمَةُ الْأَعْضَادِ أَوْ قَصَرَاتُهَا ... مُخَيَّسَةٌ بَيْنَ السَّدِيْسِ وَبَازِلِ

تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا وَالرُّخَامَ وَزِيْنَةً ... بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُوْدَةٌ كَالْعَثَاكِلِ

أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ مِنْ كُلِّ طَاعِنٍ ... عَلَيْنَا بِسُوْءٍ أَوْ مُلِحٍّ بِبَاطِلِ

وَمَنْ كَاشِحٍ يَسْعَى لَنَا بِمَعِيْبَةٍ ... وَمِنْ مُلْحِقٍ فِيْ الدِّيْنِ مَا لَمْ نُحَاوِلِ

وَثَوْرٍ وَمَنْ أَرْسَى ثَبِيْرًا مَكَانَهُ ... وَرَاقٍ لِيَرْقَى فِيْ حِرَاءَ وَنَازِلِ

وَبِالْبَيْتِ، حَقَّ الْبَيْتِ، مِنْ بَطْنِ مَكَّةٍ ... وَبِاللهِ إِنَّ اللهَ لَيْسَ بِغَافِلِ

وَبِالْحَجَرِ الْمُسْوَدِّ إِذْ يَمْسَحُونَهُ ... إِذَا اكْتَنَفُوْهُ بِالضُّحَى وَالْأَصَائِلِ

وَمَوْطِئِ إِبْرَاهِيْمَ فِيْ الصَّخْرِ رَطْبَةٌ ... عَلَى قَدَمَيْهِ حَافِيًا غَيْرَ نَاعِلِ

وَأَشْوَاطٍ بَيْنَ الْمَرْوَتَيْنِ إِلَى الصَّفَا ... وَمَا فِيْهِمَا مِنْ صُوْرَةٍ وَتَمَاثُلِ

وَمَنْ حَجَّ بَيْتَ اللهِ مِنْ كُلِّ رَاكِبٍ ... وَمِنْ كُلِّ ذِيْ نَذْرٍ وَمِنْ كُلِّ رَاجِلِ

وَبِالْمَشْعَرِ الْأَقْصَى إِذَا عَمَدُوْا لَهُ ... إِلَالٍ إِلَى مَفْضَى الثَّجَاجِ الْقَوَابِلِ

وَتَوْقَافِهِمْ فَوْقَ الْجِبَالِ عَشِيَّةً ... يُقِيمُوْنَ بِالْأَيْدِيْ صُدُورَ الرَّوَاحِلِ

وَلَيْلَةِ جَمْعٍ وَالْمَنَازِلِ مِنْ مِنًى ... وَهَلْ فَوْقَهَا مِنْ حُرْمَةٍ وَمَنَازِلِ

وَجَمْعٍ إِذَا مَا الْمُقْرَبَاتِ أَجَزْنَهُ ... سِرَاعًا كَمَا يَخْرُجْنَ مِنْ وَقْعِ وَابِلِ

وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى إِذَا صَمَدُوْا لَهَا ... يَؤُمُّوْنَ قَذْفًا رَأْسَهَا بِالْجَنَادِلِ

وَكِنْدَةَ إِذَا هُمْ بِالْحِصَابِ عَشِيَّةً ... تُجِيْزُ بِهِمْ حُجَّاجُ بَكْرِ بْنِ وَائِلِ

حَلِيْفَانِ شَدَّا عَقْدَ مَا اخْتَلَفَا لَهُ ... وَرَدَّا عَلَيْهِ عَاطِفَاتِ الْوَسَائِلِ

وَحَطْمِهِمْ سُمْرَ الرِّمَاحِ وَسَرْحُهُ ... وَشَبْرِقَهُ وَخْدَ النَّعَامِ الْجَوَافِلِ

فَهَلْ بَعْدَ هَذَا مِنْ مُعَاذٍ لِعَائِذٍ ... وَهَلْ مِنْ مُعِيْذٍ يَتَّقِي اللهَ عَاذِلِ

يُطَاعُ بِنَا أَمْرُ الْعِدَى وَوَدُّوْا أَنَّنَا ... تُسَدُّ بِنَا أَبْوَابُ تُرْكٍ وَكَابُلِ

كَـذَبْتُمْ وَبَيْـتِ الله نَتْـرُكُ مَكَّـةَ ... وَنَطْعَـنُ إِلَّا أَمْـرُكُمْ فِـي بَلَابِـلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ اللهِ نُبْـزَى مُحَمَّـدًا ... وَلَمَّـا نُطَـاعِنْ دُونَـهُ وَنُنَاضِـلِ
وَنُـسْلِمُهُ حَتَّـى نُـصَرَّعَ حَوْلَـهُ ... وَنَـذْهَلَ عَـنْ أَبْنَائِنَـا وَالْحَلَائِـلِ
وَيَنْهَضَ قَوْمٌ فِيْ الْحَدِيْـدِ إِلَـيْكُمُ ... نُهُوْضَ الرَّوَايَا تَحْتَ ذَاتِ الصَّلَاصِلِ
وَحَتَّى تَرَى ذَا الضَّغْنِ يَرْكَبُ رَدْعَهُ ... مِنَ الطَّعْنِ فِعْلَ الْأَنْكَبِ الْمُتَحَامِـلِ
وَإِنَّا - لَعَمْرُ الله- إِنْ جَدَّ مَـا أَرَى ... لَتَلْتَبِـسَنَّ أَسْـيَافُنَا بِالْأَمَاثِـلِ
بِكَفَّيْ فَتًى مِثْلَ الشِّهَابِ سَـمَيْدَعٍ ... كَأَخِيْ ثِقَةٍ حَامِيْ الْحَقِيْقَـةِ بَاسِـلِ
شُهُوْرًا وَأَيَّامًـا وَحَـوْلًا مُجَرَّمًـا ... عَلَيْنَـا وَتَـأْتِيْ حَجَّـةٌ بَعْـدَ قَابِـلِ
وَمَا تَرْكُ قَوْمٍ، لَا أَبَـا لَـكَ سَـيِّدًا ... يَحُوْطُ الذِّمَارَ غَيْـرَ ذَرْبٍ مُوَاكِـلِ
وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِـهِ ... ثِمَـالُ الْيَتَـامَى عِـصْمَةٌ لِلْأَرَامِـلِ
يَلُوذُ بِهِ الْهُـلَّافُ مِـنْ آلِ هَاشِـمٍ ... فَهُمْ عِنْدَهُ فِـيْ رَحْمَـةٍ وَفَوَاضِـلِ
لَعَمْرِيْ لَقَدْ أَجْرَى أُسَـيْدٌ وَبِكْـرُهُ ... إِلَـى بُغْـضِنَا وَجَزَّآنَـا لِآكِـلِ
وَعُثْمَانُ لَمْ يَرْبَـعْ عَلَيْنَـا وَقُنْفُـذٌ ... وَلَكِنْ أَطَاعَـا أَمْـرَ تِلْـكَ الْقَبَائِـلِ
أَطَاعَا أُبَيًّا وَابْـنَ عَبْـدِ يُغِـوثِهُمْ ... وَلَـمْ يَرْقُبَـا فِيْنَـا مَقَالَـةَ قَائِـلِ
كَمَا قَدْ لَقِيْنَا مِـنْ سُـبَيْعٍ وَنَوْفَـلٍ ... وَكُلٌّ تَوَلَّى مُعْرِضًـا لَـمْ يُجَامِـلِ
فَإِنْ يُلْقِيَـا أَوْ يُمْكِـنِ اللهُ مِنْهُمَـا ... نَكِلْ لَهُمَا صَاعًا بِـصَاعِ الْمُكَايِـلِ
وَذَاكَ أَبُوْ عَمْرٍو أَبَى غَيْـرَ بُغْـضِنَا ... لِيَظْعَنَا فِـيْ أَهْـلِ شَـاءٍ وَجَامِـلِ
يُنَاجِيْ بِنَا فِي كُلِّ مُمْسًى ومَـصْبَحٍ ... فنَاجَ أَبَـا عَمْـرٍو بِنَـا ثُـمَّ خَاتِـلِ
وَيُؤْلِيْ لَنَـا بِـالله مَـا إِنْ يَغُـشُّنَا ... بَلَى قَدْ نَـرَاهُ جَهْـرَةً غَيْـرَ حَائِـلِ

أَضَاقَ عَلَيْهِ بُغْضُنَا كُلَّ تَلْعَةٍ ... مِنَ الْأَرْضِ بَيْنَ أَخْشُبٍ فَمُجَادِلِ

وَسَائِلْ أَبَا الْوَلِيْدِ مَاذَا حَبَوْتَنَا ... بِسَعْيِكَ فِيْنَا مُعْرِضًا كَالْمُخَاتِلِ

وَكُنْتَ امْرَأً مِمَّنْ يُعَاشُ بِرَأْيِهِ ... وَرَحْمَتُهُ فِيْنَا وَلَسْتَ بِجَاهِلِ

فعَتْبُهُ لاَ تَسْمَعْ بْناَ قَولَ كاَشِحٍ ... حَسُودٍ كَذُوْبٍ مُبْغِضٍ ذِيْ دَغَاوِلِ

وَمَرَّ أَبُوْ سُفْيَانَ عَنِّيْ مُعْرِضًا ... كَمَا مَرَّ قَيْلٌ مِنْ عِظَامِ الْمَقَاوِلِ

يَفِرُّ إِلَى نَجْدٍ وَبَرْدِ مِيَاهِهِ ... وَيَزْعُمُ أَنِّيْ لَسْتُ عَنْكُمْ بِغَافِلِ

ويَحْبِرُنَا فعِلَ المُنَاصِحِ أَنَّهُ ... شَفِيْقٌ وَيُخْفِيْ عَارِمَاتِ الدَّوَاخِلِ

أَمُطْعِمُ لَمْ أَخْذُلْكَ فِيْ يَوْمِ نَجْدَةٍ ... وَلَا مُعْظِمٍ عِنْدَ الْأُمُوْرِ الْجَلَائِلِ

وَلَا يَوْمَ خَصْمٍ إِذَا أَتَوْكَ أَلِدَّةً ... أُوْلِيْ جَدَلٍ مِنَ الْخُصُوْمِ الْمَسَاجِلِ

أَمُطْعِمُ إِنَّ الْقَوْمَ سَامُوْك خُطَّةً ... وَإِنِّيْ مَتَى أُوْكَلْ فَلَسْتُ بِوَائِلِ

جَزَى اللهُ عَنَّا عَبْدَ شَمْسٍ وَنَوْفَلاً ... عُقُوبَةَ شَرٍّ عَاجِلًا غَيْرَ آجِلِ

بِمِيْزَانِ قِسْطٍ لَا يُخِسُّ شَعِيْرَةً ... لَهُ شَاهِدٌ مِنْ نَفْسِهِ غَيْرَ عَائِلِ

لَقَدْ سَفِهَتْ أَحْلَامُ قَوْمٍ تَبَدَّلُوْا ... بَنِيْ خَلَفٍ قَيْضًا بِنَا وَالْغَيَاطِلِ

وَنَحْنُ الصَّمِيْمُ مِنْ ذُؤَابَةِ هَاشِمٍ ... وَآلِ قُصَيٍّ فِيْ الْخُطُوْبِ الْأَوَائِلِ

وَسَهْمٌ وَمَخْزُوْمٌ تَمَالَوْا وَأَلَّبُوا ... عَلَيْنَا الْعِدَا مِنْ كُلِّ طِمْلٍ وَخَامِلِ

فَعَبْدُ مَنَافٍ أَنْتُمْ خَيْرُ قَوْمِكُمْ ... فَلَا تُشْرِكُوْا فِيْ أَمْرِكُمْ كُلَّ وَاغِلِ

لَعَمْرِيْ لَقَدْ وَهَنْتُمْ وَعَجَزْتُمْ ... وَجِئْتُمْ بِأَمْرٍ مُخْطِئٍ لِلْمَفَاصِلِ

وَكُنْتُمْ حَدِيْثًا حَطْبَ قِدْرٍ وَأَنْتُمْ ... الْآنَ حَطَابُ أَقْدُرٍ وَمَرَاجِلِ

لِيَهْنِئْ بَنِيْ عَبْدِ مَنَافٍ عُقُوْقُنَا ... وَخِذْلَانُنَا وَتَرْكُنَا فِيْ الْمَعَاقِلِ

فإِنْ نَكُ قَوْمًا نَتَّئِرْ مَا صَنَعْتُمْ ... وَتَحْتَلِبُوهَا لِقْحَةً غَيْرَ بَاهِلِ
وَسَائِطُ كَانَتْ فِيْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبٍ ... نَفَاهُمْ إِلَيْنَا كُلَّ صَقْرٍ حُلَاحِلِ
وَرَهْطُ نُفَيْلٍ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَى ... وَأَلْأَمُ حَافٍ مِنْ مَعَدٍّ وَنَاعِلِ
فَأَبْلِغْ قُصَيًّا أَنْ سَيُنْشَرُ أَمْرُنَا ... وَبَشِّرْ قُصَيًّا بَعْدَنَا بِالتَّخَاذُلِ
وَلَوْ طَرَقَتْ لَيْلًا قُصَيًّا عَظِيمَةٌ ... إِذًا مَا لَجَأْنَا دُوْنَهُمْ فِيْ الْمَدَاخِلِ
وَلَوْ صَدَقُوْا ضَرْبًا خِلَالَ بُيُوْتِهِمْ ... لَكُنَّا أُسًى عِنْدَ النِّسَاءِ الْمَطَافِلِ
فَكُلُّ صَدِيْقٍ وَابْنُ أُخْتٍ نَعُدُّهُ ... لَعَمْرِيْ وَجَدْنَا غِبَّهُ غَيْرَ طَائِلِ
سِوَى أَنَّ رَهْطًا مِنْ كِلَابِ بْنِ مُرَّةٍ ... بَرَاءٌ إِلَيْنَا مِنْ مَعَقَّةِ خَاذِلِ
وَهَنَّا لَهُمْ حَتَّى تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ ... وَيَحْسُرَ عَنَّا كُلَّ بَاغٍ وَجَاهِلِ
وَكَانَ لَنَا حَوْضُ السِّقَايَةِ فِيْهِمُ ... وَنَحْنُ الْكُدَى مِنْ غَالِبٍ وَالْكَوَاهِلِ
شَبَابٌ مِنْ الْمُطَيِّبِيْنَ وَهَاشِمٍ ... كَبِيْضِ السُّيُوفِ بَيْنَ أَيْدِي الصَّيَاقِلِ
فَمَا أَدْرَكُوا ذَحْلاً وَلَا سَفَكُوْا دَمًا ... وَلَا حَالَفُوْا إِلَّا شِرَارَ الْقَبَائِلِ
بِضَرْبٍ تَرَى الْفِتْيَانَ فِيْهِ كَأَنَّهُمْ ... ضَوَارِيْ أُسُوْدٍ فَوْقَ لَحْمٍ خَرَادِلِ
بَنِيْ أَمَةٍ مَحْبُوبَةٍ هِنْدِكِيَّةٍ ... بَنِيْ جُمَحٍ عُبَيْدِ قَيْسِ بْنِ عَاقِلِ
وَلَكِنَّنَا نَسْلٌ كِرَامٌ لِسَادَةٍ ... بِهِمْ نُعِيَ الْأَقْوَامُ عِنْدَ الْبَوَاطِلِ
وَنِعْمَ ابْنِ أُخْتِ الْقَوْمِ غَيْرَ مُكَذِّبٍ ... زُهَيْرٌ حُسَامًا مُفْرَدًا مِنْ حَمَائِلِ
أَشَمَّ مِنَ الشَّمِّ الْبَهَالِيْلِ يَنْتَمِيْ ... إِلَى حَسَبٍ فِيْ حَوْمَةِ الْمَجْدِ فَاضِلِ
لَعَمْرِيْ لَقَدْ كُلِّفْتُ وَجْدًا بِأَحْمَدٍ ... وَإِخْوَتِهِ دَأْبَ الْمُحِبِّ الْمُوَاصِلِ
فَلَا زَالَ فِيْ الدُّنْيَا جَمَالًا لِأَهْلِهَا ... وَزِينًا لِمَنْ وَالَاهُ رَبُّ الْمَشَاكِلِ

فَمَنْ مِثْلُهُ فِيْ النَّـاسِ أَيُّ مُؤَمَّـلٍ ... إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّـامُ عِنْـدَ التَّفَاضُـلِ
حَلِيْمٌ رَشِيْدٌ عَادِلٌ غَيْـرُ طَـائِشٍ ... يُوَالِيْ إِلَاهًـا لَـيْسَ عَنْـهُ بِغَافِـلِ
فَـوَاللهِ لَـوْلَا أَنْ أَجِـيءَ بِـسُبَّةٍ ... تَجُرُّ عَلَى أَشْيَاخِنَا فِـيْ الْمَحَافِـلِ
لَكِنَّا اتَّبَعْنَـاهُ عَلَـى كُـلِّ حَالَـةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ جِدًّا غَيْرَ قَـوْلِ التَّهَـازُلِ
لَقَدْ عَلِمُـوْا أَنَّ ابْنَنَـا لَا مُكَـذَّبٌ ... لَـدَيْنَا وَلَا يُعْنَـى بِقَـوْلِ الْأَبَاطِـلِ
فَأَصْبَحَ فِينَا أَحَمْـدٌ فِـيْ أَرُوْمَـةٍ ... تُقَـصِّرُ عَنْـهُ سَـوْرَةُ الْمُتَطَـاوِلِ
حَدِبْتُ بِنَفْـسِيْ دُونَـهُ وَحَمَيْتُـهُ ... وَدَافَعْتُ عَنْـهُ بِالـذَّرَا وَالْكَلَاكِـلِ
فَأَيَّـدَهُ رَبُّ الْعِبَـادِ بِنَـصْرِهِ ... وَأَظْهَـرَ دِينًـا حَقُّـهُ غَيْـرُ بَاطِـلِ
رِجَالٌ كِـرَامٌ غَيْـرُ مِيْـلٍ نَمَـاهُمْ ... إِلَى الْخَيْرِ آبَـاءٌ كِـرَامُ الْمَحَاصِـلِ
فَإِنْ تَكُ كَعْبٌ مِنْ لُـؤَيٍّ صُـقَيْبَةً ... فَـلَا بُـدَّ يَوْمًـا مَـرَّةً مِـنْ تَزَايُـلِ

*** أولاً: عدد أبيات القصيدة.**

لقد ٱختلفت المصادر في بيان عدد أبيات القصيدة، سواء في ديوان أبي طالب عليه السلام، أو في غيره من المؤلفات، ويمكن بيان ذلك من خلال الجدول الآتي الذي يبيِّن ذلك الاختلاف، وقد تم عقد هذه الإحصائيات بالرجوع إلى أهم مصادر ومراجع هذه القصيدة اللامية، من دون الرجوع إلى المؤلفات الخاصة بأبي طالب التي قد ذكرت بعضها تمام القصيدة أو بعضها.

سيرة ٱبن هشام	٩٤ بيتًا
ديوان أبي طالب (المهمزي)	١١١ بيتًا
ديوان أبي طالب (التميمي)	١١٥ بيتًا
ديوان أبي طالب (التنوجي)	١١٠ بيتًا
ديوان أبي طالب (الكاشاني)	١٣٣ بيتًا

وقد ذكر الشيخ محمد حسن آل ياسين في تحقيقه لديوان أبي طالب موارد الاختلاف في أبيات القصيدة مع المصادر الأخرى التي وردت فيها، فيمكن الإفادة منه في ذلك.

*** ثانيًا: أقوال العلماء فيها.**

وردت كلمات كثيرة في بيان أهمية هذه القصيدة من جوانبها المختلفة، والتي قد شرحها بعضهم آعتناء بها ولأهميتها، ونختصر ذلك بما ورد إجمالًا؛ إذ لا يمكن آستقصاء ذلك كله إلا بعد جهود كبيرة يبذلها الباحثون.

١- قال محمد بن سلَّام الجمحي (ت٢٣٢هـ): ((وكان أبو طالب شاعرًا جيد الكلام، أبرع ما قال قصيدته التى مدح فيها النبي صلى الله عليه:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيْعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

وقد زِيد فيها وطوِّلت، ورأيت فى كتاب يوسف بن سعد صاحبنا منذ أكثر من مئة سنة، وقد علمتُ أنْ قد زاد الناس فيها ولا أدري أين منتهاها، وسألني الأصمعي عنها. فقلت: صحيحة جيدة. قال: أتدري أين منتهاها؟ قلت: لا. وأشعار قريش أشعار فيها لينٌ، فتشكِل بعض الإشكال))[(١)].

٢- قال علي بن حمزة البصري التميمي (ت٣٧٥هـ) في ديوانه: ((القصيدة الطويلة التي تعوَّذ فيها بالله وآلائه وحرمه وشرايع حجِّه، ما لا يشك مَنْ سمعها أنَّ قائلها من أفاضل المسلمين))[(٢)].

٣- قال آبن كثير (ت٧٧٤هـ): ((قُلْتُ: هَذِهِ قَصِيْدَةٌ عَظِيْمَةٌ بَلِيْغَةٌ جِدًّا لَا يَسْتَطِيْعُ يَقُوْلُهَا إِلَّا مَنْ نُسِبَتْ إِلَيْهِ، وَهِيَ أَفْحَلُ مِنَ الْمُعَلَّقَاتِ السَّبْعِ، وَأَبْلَغُ فِيْ تَأْدِيَةِ الْمَعْنَى فِيْهَا جَمِيْعًا))[(٣)].

---

(١) طبقات فحول الشعراء ١/٢٤٥.

(٢) ديوان أبي طالب ص٤٩.

(٣) البداية والنهاية ٣/٥٧.

٤- وقد ذكرها عبد القادر البغدادي (ت١٠٩٣هـ) وقام بشرحها فقال في مقدمتها بعد ذكره لما تقدم من كلام ٱبن كثير: ((وقد أحببت أنْ أُوردها هنا منتخبة مشروحة بشرح يوفي المعنى؛ محبة في النبي صلى الله عليه))[١].

٥- قال الشيخ محمد حسن آل ياسين (ت١٤٢٧هـ) في تحقيقه لديوان أبي طالب في لاميته: ((هذه اللامية من غرر الشعر العربي المشهور، وعدَّها ٱبن سلَّام....))[٢].

٦- قال الأستاذ محمد التنوجي (ت١٤٤٢هـ) في شرحه لديوان أبي طالب: ((مَرَّ بي قول ٱبن سلَّام: كان أبو طالب شاعرًا جيد الكلام، وٱستشهد له ببيته المشهور:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ رَبِيْعُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلْأَرَامِلِ

فأدركت شاعريته إضافة إلى كونه خطيبًا مفوَّهًا، فأقدمت أبحث عن شعره .... والحق أنَّ القدماء أولَوْا شعر أبي طالب ٱهتمامهم فاستشهدوا به))[٣].

---

(١) خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب ٢/١٨٥.

(٢) ص٦٩.

(٣) ديوان أبي طالب عَمِّ النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم) ص٥.

*** ثالثًا: المؤلفات والدراسات في شرح اللامية.**

تم تأليف كتب متعددة في شرح هذه القصيدة حصرًا، حيث تم شرحها من قبل كثير من الأعلام في مؤلفاتهم عن أبي طالب، وكذلك المحققون لديوانه، فضلًا عن بحوث علمية أكاديمية، غير ما ذكره المؤلفون عنها في مؤلفاتهم عن أبي طالب عليه السلام عمومًا، والاستشهاد بها وشرحها.

فمن تلك المؤلفات:

١- شرح قصيدة أبي طالب، المفتي مير عباس اللكهنوي (ت١٣٠٦هـ).

٢- طِلبة الطالب في شرح لامية أبي طالب، علي فهمي بن شاكر الموستاري (ت١٣٣٧هـ).

٣- زهرة الأدباء في شرح لامية شيخ البطحاء، الشيخ جعفر بن محمد النقدي (ت١٣٧٠هـ).

٤- أبو طالب وقصيدته اللامية، تحقيق وجمع محمد مهدي صباحي الكاشاني.

ومن تلك البحوث:

١- لامية أبي طالب دراسة في المناسبة التي قيلت فيها وآراء النقاد، الدكتورة شيماء هاتو البهادلي والدكتور علي صالح رسن المحمداوي، مجلة ميسان، العدد الخامس عشر، ٢٠١١م.

٢- لامية الشاعر أبي طالب بن عبد المطلب دراسة في مضامينها أولًا (مناسك الحج)، الدكتورة شيماء هاتو البهادلي والدكتور علي صالح رسن

المحمداوي، مجلة البصرة للعلوم الإنسانية، المجلد الأول، العدد الأول، ٢٠١١م.

٣- القصيدة اللامية لسيد البطحاء أبي طالب في الدفاع عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (دراسة وتحليل)، حسين مهتدي وحسين لفتة كاظم، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد السادس والعشرون، العدد السادس، ٢٠١٨م.

٤- الأبعاد اللغوية والبلاغية للامية أبي طالب عليه السلام، الدكتور حسين منير الدين وباسم أحمد، مجلة ديالى، العدد الخامس والسبعون، ٢٠١٨م.

٥- لامية أبي طالب عليه السلام عَمِّ الرسول صلى الله عليه وآله في دراسات القدماء والمحدثين، الأستاذ الدكتور علي كاظم المصلاوي، مجلة العميد، المجلد العاشر، العدد الثامن والثلاثون، ٢٠٢١م.

٦- مسارات الإبلاغ الحجاجي في الخطاب الشعري لأبي طالب عليه السلام (اللامية مثالًا)، الدكتورة آلاء علي العنبكي، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الستون، العدد الأول، ٢٠٢١م.

٧- لامية شيخ البطحاء لأبي طالب بن عبد المطلب الهاشمي القرشي وشرحها، فصلنامة تخصصي مطالعات قرآن، ١٣، ٤٩، ٢١-٣٩.

*** رابعًا: قبسات مختارة لبعض البحوث في شرح اللامية.**

لقد سلطت البحوث المختصة بشرح هذه اللامية المباركة على موضوعات مهمة تتعلق بالقصيدة ومن جوانب مختلفة، وإتمامًا للفائدة نذكر بعض ما ورد فيها.

١ - تذكر الباحثة الدكتورة آلاء العنبكي في بيان ما يتعلق بصفات هذه القصيدة وما تناولته من موضوعات مختلفة: ((لاميته إذ جاءت جامعة شاملة لكُلِّ سجايا بني عبد المطلب، وخصال النبي وصفاته، فتركت توقيعها في صفحات الأدب العربي؛ إذ مثلت مرجعًا تاريخيًّا لكثير من الأحداث والمواقف والأشخاص بأبياتها التي تجاوزت المئة؛ فضلًا عن كونها تحمل بين جنباتها رسائل تلوِّح للمتلقي بعظمة المرسَل، ونقاء أصله وأحقيته بالاتباع بالمقارنة مع غيره، فكانت بمنزلة الإعلام الهادر لشخص الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ورسالته الخاتمة، وحرفًا من حروف أبجدية الإسلام))[1].

ثم تؤكد على مميزات القصيدة في جانب المحاجة مع الآخرين من قومه ومن غيرهم في أنَّ محمدًا مبعوث من قبل الله تعالى برسالة سماوية ويجب نصرته وعدم معاداته، مستثمرًا بذلك قدرته الأدبية في الخطاب: ((إنَّ أبا طالب صلى الله عليه وآله وسلم في لاميته حاول أنْ يدمج العنصر الحجاجي في أسلوبيته الشاعرية ليمسَّ العاطفة أولًا، والعقل الذي يوصل إلى الإقناع في آنٍ ثانيًا، فالغرض من

---

(١) مسارات الإبلاغ الحجاجي في الخطاب الشعري لأبي طالب عليه السلام (اللامية مثالًا)، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الستون، العدد الأول، ٢٠٢١م، ص٢٢٦.

قصيدته ٱستعطاف القوم من ناحية، وإثبات إصراره على الدفاع عن ٱبن أخيه صلى الله عليه وآله وسلم وصحة دعواه، وأنه مؤيد من الخالق عز وجل، وهو موقف قوة يخاطب فيه العقل بالشاهد والدليل من ناحية أخرى))[1].

٢- يذكر الباحثان الدكتورة شيماء البهادلي والدكتور علي المحمداوي في الأسباب التي دعت ٱبن هشام أنْ يحذف بعض أبيات هذه القصيدة العصماء، وأثر ذلك ٱجتماعيًّا: ((قد يساءل بعضهم عن سبب ذلك [إسقاط ٱبن هشام بعض الأبيات] ويقول: لماذا أهمل ٱبن هشام بعض أبيات القصيدة؟ فالجواب على ذلك معروف يتضح من خلال معرفة البيات التي لم يذكرها .... وهذا يتعارض مع المدرسة العقائدية التي ينتمي إليها ٱبن هشام التي تحمل فكرًا مفاده أنَّ كُلَّ من رأى النبي وسمع حديثه من المسلمين فهو صحابي، وإذا ثبتت صحبة الشاعر للنبي ثبت إسلامه، وهذا مشكل عندهم، كيف يكون الشاعر مسلمًا وقد سارت مدرستهم على تكفيره .... وذكر [البيت] السابع بعد المائة، وحذف الثامن بعدها، ثم عاد وذكر التاسع بعد المائة علمًا أنَّ هذه الأبيات تحمل مضمونًا واحدًا وهو نبوءة الشاعر، وقراءته المسبقة للأحداث، وما ستؤول إليه الأمور فيما بعد؛ لذلك كان واثقًا أنَّ النبي محمد سيكون يومًا قائد فصائل جيوش المسلمين، داحرًا بهم أهل الباطل، وهذا ما حدث فعلًا عندما قاد صلى الله عليه وآله وسلم الكتائب يوم فتح مكة))[2].

---

(١) مسارات الإبلاغ الحجاجي ص٢٤٣.

(٢) لامية أبي طالب دراسة في المناسبة التي قيلت فيها وآراء النقاد، مجلة ميسان، العدد الخامس عشر، ٢٠١١م، ص٨٥-٨٦.

ثم يستعرض الباحثان ذكر جميع الأبيات التي تم حذفها مقارنة مع ديوان أبي طالب، والتقديم والتأخير لبعض الأبيات.

٣- يذكر الباحثان حسين مهتدي وحسين لفتة كاظم الجوانب البلاغية التي تناولتها القصيدة، وأثر ذلك وٱنعكاساته على الواقع العقدي والاجتماعي وما تضمنته من إبداعات وصور ومعانٍ: ((وكُلُّ كلمة أو وصف أو تشبيه أو كناية وظَّفه الشاعر في قصيدته يكون ذا علاقة وطيدة مع نفسية الشاعر، بحيث تجسِّد لنا بيئة الشاعر وحياته، وركز أبو طالب في لاميته على هذه الأماكن المقدسة الدينية؛ لأنها من بقايا عهد النبي إبراهيم عليه السلام، الذي بنى بيت الله ومسجده وأقام الشعائر الدينية، وٱستشهد النحويون والأدباء والؤرخون والمفسرون في كتبهم بأشعار أبي طالب، ولا سيما قصيدته اللامية، وهذا خير دليل على صحة هذه القصيدة في رأيهم))[1].

ثم يستعرض الباحثان بعض الأبيات الشعرية للقصيدة مع بيان الجوانب البلاغية فيها، ومن ذلك قول أبي طالب:

فَمَنْ مِثْلُهُ فِيْ النَّاسِ أَيٌّ مُؤَمَّلٍ إِذَا قَاسَهُ الْحُكَّامُ عِنْدَ التَّفَاضُلِ

حَلِيْمٌ رَشِيْدٌ عَادِلٌ غَيْرُ طَائِشٍ يُوَالِيْ إِلَاهًا لَيْسَ عَنْهُ بِغَافِلِ

فيقول الباحثان: ((بدا الشاعر الشطر الأول بالاستفهامين (مَنْ، وأيٌّ) وهذان الاستفهامان ليسا في معناهما الحقيقي، بل أخرجهما الشاعر عن معناهما

---

(١) القصيدة اللامية لسيد البطحاء أبي طالب في الدفاع عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (دراسة وتحليل)، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد السادس والعشرون، العدد السادس، ٢٠١٨م.ص١-٢.

العادي؛ ليدلَّان على التعظيم .... (حليم، رشيد، عادل، عير طائش) حتى أنه [النبي] لا يُعرف إلا بهذه الصفات، والناس يتأمَّلون من النبي صلى الله عليه وآله وسلم الخير والبركة، وأنه مَعقد الآمال في قريش، وإذا قاسمه الحُكَّام عند المفاضلة بغيره فهو المفضَّل؛ لأنه حليم، ورشيد، وعادل، والعدل أرقى ما يطمح إليه الناس ويعملون لتحقيقه))[1].

ثم يعرِّج الباحثان على بيان صفات النبي في هذه القصيدة من خلال البيت الآتي:

لَقَدْ عَلِمُوْا أَنَّ ٱبْنَنَا لَا مُكَذَّبٌ لَدَيْنَا وَلَا يُعْنَى بِقَيْلِ الْأَبَاطِلِ

فيقولان فيه: ((ٱستخدم الشاعر من المؤكدات العديدة في هذه الجملة الخبرية، وهذه المؤكدات (اللام، وقد، وأنَّ) تزيل ٱرتياب مشركي قريش في صداقة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لهذا أبناء قريش قد علموا أنَّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم عندهم صادق لا يكذب، ولا ينطق بكلام باطل ولا عن الهوى، بل كلامه حق من عند الله تعالى .... والكتب التاريخية تؤيِّد قول أبي طالب في تأييد قول الصدق ورفض قول الكذب من رسول الله))[2].

ثم يبيِّن الباحثان ما يتعلق بمواجهة أبي طالب للمشركين، وتحدِّيه في الحفاظ على النبي، بما يدل على مدى صدقه وإيمانه وعقيدته التي يدافع عنها، من خلال الأبيات الآتية:

---

(١) القصيدة اللامية لسيد البطحاء أبي طالب ص٤.

(٢) المصدر نفسه ص٥.

كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ الله نَتْــرُكُ مَكَّــةَ وَنَطْعَنُ إِلَّا أَمْرُكُمْ فِــي بَلَابِــلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتِ الله نُبْزَى مُحَمَّدًا وَلَمَّا نُطَــاعِنُ دُونَــهُ وَنُنَاضِــلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُــصَرَّعَ حَوْلَــهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَــا وَالْحَلَائِــلِ

فيقول الباحثان فيما يتعلق بذلك: ((الشاعر يخاطب أعداء الرســول صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: خاب وبطل أملكم أيها الأعداء، قسمًا بالكعبة لن نترك مكــة، ولــن نخرج منها إلا خضتم في الأحزان والهموم، ولن نُغلب بمحمد ولم نحــارب ونقاتل من أجله بعدُ، فالشاعر يشارك في الحروب للدفاع عن النبــي صلى الله عليه وآله وسلم ويقول: لن نسلِّم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، ولن نخذله حتى يشتد القتل فينا ونُطرح على الأرض، وفي هذا الدفاع نترك أحب الناس إلينا وهم أبناؤنا وأزواجنا بحيث لا نلتفت إليهم ولو قُتِلوا))[1].

٤- يذكر الباحث الأستاذ الدكتور علي كاظم المصلاوي في بحثه أهمية هذه القصيدة ومقامها بين القصائد الأدبية الأخرى، وما ذكره الأعلام فيهــا، ومــا يمكن ٱستشعاره من قائلها أبي طالب لها، وأبعادها التاريخية، فيقــول: ((إنَّ القصيدة اللامية معلقة كالمعلقات السبع، أو هي ثامنة بها، وإنَّ ما وصل إليــه ٱبن كثير وٱبن أبي الحديد وما قدماه من رأي بعد تفكير ناقد قرأ المعلقات وقرأ القصيدة اللامية ووجد بينهما تلاقيًا ما، أمَّا إذا عكسنا الأمر وقلنا: ما الذي فكَّر فيه أبو طالب (الشاعر) حين نظم قصيدته اللامية؟ هل كــان في وعيــه أو لا وعيه، أنْ يكتب قصيدة تخلِّده وتبقى أثرًا لا يُمحى أبدًا من بعده؟؟ وهل أراد أنْ

(١) القصيدة اللامية لسيد البطحاء أبي طالب ص٨.

تكون كالمعلقات مشهورة محفوظة متداولة عبر العصور؟؟ وهل أراد أنْ يقتفي الشعراء أثرها من بعده؟؟ ونجيب عن ذلك بالآتي ذكره .... ثانيًا: إنَّ القصيدة العظيمة الخالدة وعاء لانفعال عظيم ٱنفجر وتشظَّى داخل الشاعر، وخرج لنا في صورة قصيدة .... خامسًا: لقد تقصَّد أبو طالب الجهر بأسماء البطون والقبائل، وكذلك الأشخاص ومواقفهم من الإسلام والنبي محمد صلى الله عليه وآله، حتى وإنْ خَصُّوه بقرابة أو رحم، وقد ثبَّت بذلك الأحداث والمواقف بأسمائها شعرًا، والشعر كما هو معروف أعلق بالذاكرة وأحفظ، مستشرفًا عبر ذلك المستقبل، الذي سيحاول فيه هؤلاء طمس تاريخ هذه الحقبة المهمة والتلاعب فيه لحسابهم))[1].

هذا آخر ما حاولت بيانه في هذا الملحق الموجز، مع جعل الباب مفتوحًا لدراسات وبحوث مهمة في هذا الجانب، ولله الحمد أولًا وآخرًا.

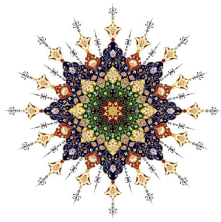

(١) لامية أبي طالب عليه السلام عَمِّ الرسول صلى الله عليه وآله في دراسات القدماء والمحدثين ، مجلة العميد، المجلد العاشر، العدد الثامن والثلاثون، ٢٠٢١م، ص٤٥-٤٧.

قائمة مصادر ومراجع البحث

*** المؤلفات:**

١- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي (ت٧٧٤هـ/١٣٧٢م)، (دار الفكر، بيروت، ١٤٠٧هـ ١٩٨٦م، د.ط).

٢- ديوان أبي طالب بن عبد المطلب، صنعة علي بن حمزة البصري التميمي (ت٣٧٥هـ/٩٨٥م)، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، (د.ط، د.مط، د.ت، د.م).

٣- ديوان أبي طالب عَمِّ النبي (صلى الله عليه [وآله] وسلم)، جمعه وشرحه: الدكتور محمد التنوجي، (دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ ١٩٩٤م).

٤- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت١٠٩٣هـ/١٦٨٢م)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، (مطبعة الخانجي، القاهرة، ط٤، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م).

٥- طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلَّام الجمحي (ت٢٣٢هـ/٨٤٥م)، تحقيق: محمود محمد شاكر، (دار المدني، جدة، د.ط، د.ت).

*** البحوث:**

١- القصيدة اللامية لسيد البطحاء أبي طالب في الدفاع عن الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم (دراسة وتحليل)، حسين مهتدي وحسين لفتة كاظم، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد السادس والعشرون، العدد السادس، ٢٠١٨م.

٢- لامية أبي طالب دراسة في المناسبة التي قيلت فيها وآراء النقاد، الدكتورة شيماء هاتو البهادلي والدكتور علي صالح رسن المحمداوي، مجلة ميسان، العدد الخامس عشر، ٢٠١١م.

٣- لامية أبي طالب عليه السلام عَمِّ الرسول صلى الله عليه وآله في دراسات القدماء والمحدثين، الأستاذ الدكتور علي كاظم المصلاوي، مجلة العميد، المجلد العاشر، العدد الثامن والثلاثون، ٢٠٢١م.

٤- مسارات الإبلاغ الحجاجي في الخطاب الشعري لأبي طالب عليه السلام (اللامية مثالًا)، الدكتورة آلاء علي العنبكي، مجلة الأستاذ للعلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد الستون، العدد الأول، ٢٠٢١م.

إنَّ هذه الصفحات المتواضعة تسلط الضوء على مرحلة مهمة من مراحل السيرة النبوية، لها علاقة بشخصية مهمة وعظيمة من شخصيات التاريخ الإسلامي، بل تاريخ السيرة الشخصية لحياة النبي الأكرم ﷺ، إنه أبو طالب عليه السلام عم النبي الذي بذل جهداً كبيراً جدّاً في الحفاظ عليه منذ أنْ كان صغيراً، ومساندته ونصرته عند إعلان نبوته، ونشر دعوته، والدفاع عنها قولاً وعملاً حتى وفاته التي فُجِع بها النبي ﷺ، وسمّي ذلك العام بـ(عام الحزن)؛ حزناً على عمّه وزوجه خديجة بنت خويلد عليها السلام اللذين كانا أعظم عون له في محنته الأولى وما رافقتها من تحديات، فحاولت جمع النصوص الخاصة به من خلال هذا السفر المهم في السيرة النبوية الذي ألفه ابن هشام جمال الدين أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري (ت٢١٣هـ)، حيث تم استقصاء كُلِّ نص له علاقة بأبي طالب، وترتيب تلك النصوص ودراستها وتحليلها وترتيبها على وفق التسلسل الزمني المعهود في سيرته، والتي تدل على مواقفه العظيمة التي صدرت منه.

الكاظمية
للتأليف والتحقيق والنشر

تصميم الغلاف مركز الكاظمية لإحياء التراث